محمد أسعد يونس

المخدوعون يطفئون الشموع



الطبعة الأولى 1443هـ (2021م)

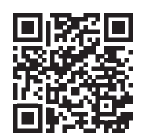


المَخدُوعون يُطفِئونَ الشُّموعِ!

محمد أسعد يونس

الطبعة الأولى 1443هـ (2021م)

يمكن تنزيل نسخة إلكترونية من هذا الكتاب من الرابط التالي:
https://sites.google.com/view/shomoa/home



المَطلع القُرآني



﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]

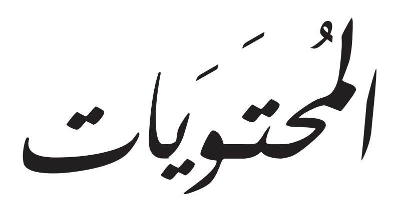
مِن مِشْكاةِ النُّبُوَّة



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
«... وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[2]

1- سورة الجاثية: 18.

2- مِن حَديثٍ نبويٍّ شريفٍ رواه الإمامُ أحمد، 5093، بإسنادٍ حسن.



إِحْراج! 9

أَعيادُ المِيلادِ الشَّخْصِيَّة مِنَ الفَراعِنَة وَحَتّى اليَوْم 13

كَعْكَةٌ مُستَديرَةٌ مُكَلَّلَةٌ بِالشُّموع! 14

سَنَة حِلْوَة يا جَمِيل! 15

تَأْريخٌ بِلامَعنى! 16

التَّقْويمُ القَمَرِيُّ هُوالأَنْسَبُ 17

التَّأْريخ الذي نَستخدِمُه غَربِيّ نَصرانيّ 18

نَشْأَةُ التَّأْريخِ الهِجْرِيّ 21

الاحتِفالُ بقُربِ الأَجل! 21

عِيدانِ لَنا لَيسَ أَكثَر! 22

لَهُم أَعيادُهُم وَلَنا أَعْيادُنا 23

عاداتٌ غَرِيبَة! 26

بينَ "صَباحِ الخَير" وَ"السَّلام عَليكُم"! 26

اللَّونُ الأَسْوَدُ لِلْحِداد! 28

الفُسْتانُ الأَبْيَضُ لِلزّفَافِ! 28

أَزرَقٌ لِلبَنين، زَهْرِيٌّ لِلبَنات؟! 29

الأُولِمْبْيادَة 30

عِيد فالِنتايْن! 31

عِيدُ الأُمّ! 32

تَسْمِيَةُ الأَطْفالِ بِأَسْماءِ الكُفّارِ 33

النِّساءُ يَلبِسنَ البِنْطال 35

التَّقلِيدُ الأَعْمَى! 37

مِن جُحرِ الضَّبّ 37

الإِمَّعَة 39

الِانْتِقاءُ وَلَيْسَ التَّقْليد 41

لَكُمْ دِينُكُم وَلِيَ دِيْن 44

*****

إحْراج!

احمرَّتْ وَجنتَايَ خَجَلًا وَشَعَرتُ بِحَرَجٍ شَديدٍ عِنْدَمَا سَأَلَتْني المعَلّمَةُ عَنِ اسْتِعْداداتِي لِتَنْظِيمِ حَفْلِ "عِيدِ المِيلَادِ" الشَّخْصيّ. فَقَدِ اعْتَادَتِ المعَلّمَةُ أَنْ تَسْأَلَ كُلَّ طالِبةٍ قَبْلَ أُسْبوعٍ مِنْ حُلولِ التّاريخِ المِيلَادِيّ ليَوْمِ ميلادِها، عَنِ الكَعْكَةِ الَّتِي سَتُحْضِرُها، وَالشُّمُوعِ الَّتِي سَتُتَوِّجُ بِهَا كَعْكَتَها، وَعَنِ الْبَالُونَاتِ الملَوَّنَةِ الَّتِي سَتُزَيِّنُ بِهَا غُرْفَةَ الصَّفِّ، وَعَنِ المدْعُوِّينَ الَّذِينَ تَرْغَبُ في اسْتِضافَتِهِمْ فِي ذَلِكَ اليَوْم.

كَانَت طالِباتُ صَفّي يَتَنَافَسنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ أَيُّهُنَّ تُحْضِرُ كَعْكَةً أَكْبَرَ، وَأَيُّهُنَّ تَطْبَعُ صورَةَ وَجْهِها عَلَى الكَعْكَةِ، وَأَيُّهُنَّ تَشْتَري مَلابِسَ خاصَّةً بِتِلْكَ المناسَبَةِ. وَمِن وَراءِ مُنافَسَةِ الطّالِباتِ تَتَنَافَسُ الأُمَّهاتُ أَيضًا بَيْنَهُنَّ أَيُّهُنَّ تُنَظِّمُ حَفْلًا لَمْ تَرَ الأَعْيُنُ مِثْلَهُ عَلَى أَرْضِ الواقِعِ وَفِي مَواقِعِ التَّواصُلِ الِاجْتِماعِيّ. وَفِي يَوْمِ الِاحْتِفالِ، تُحْضِرُ الأُمَّهاتُ مُسْتَلْزَماتِه مِنْ تَشْرِيفَاتٍ يَسِيلُ لَهَا اللُّعابُ، حَلَويّاتٍ وَمُعَجَّناتٍ وَمُكَسَّراتٍ وَعَصائِر، كَمَا يُحْضِرْنَ أَغْطِيَةً لِلطَّاوِلَاتِ وَصُحونًا وَأَكْوابًا، أَمَّا المعَلّمَةُ وَزَميلاتُها فَيَقُمْنَ بِتَشْغِيلِ الْمُوسِيقَى وَالأَغانِي الأَجْنَبِيَّةِ الَّتِي أَصْبَحْنَا نَحْفَظُ كَلِماتِها عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، لَا سِيَّمَا أُغْنِيَةِ "هَابي بيرثْ دِي تُو يُو".

ها قَد جاءَ دَورِي اليَوم، وحانَتْ ساعَةُ المواجَهَةِ الَّتِي طالما تمنَّيتُ لوِ انشقّتِ الأَرْضُ وبلَعَتني قبلَ أَنْ أَصِلَ إِلَيها:

- إنَّ أَبي لا يحتَفِلُ بأَعيادِ الميلادِ الشَّخصِيَّةِ يا مُعَلّمتي!

تَغيّر وجهُ المعلّمَة، واقتربَت مِنّي وكأنَّها تهمِسُ في أُذني:

- إنْ كانتِ المسألةُ مادّيةً فلا تقلَقي، سأَشتري لكِ الكَعكةَ هديَّةً مِني!

- المسألةُ ليسَت هكذا يا مُعلِّمَتي.. أَبي يَعمَلُ والحمدُ لله ودخلُهُ جيّد.

إِنَّهُ يُعارِضُ الفِكرةَ من أَساسِها!
- وما رأيُكِ أَنتِ؟
- لا أَدري يا مُعلِّمَتي.. فقد قالَ لي أَشياءَ كَثيرةً أَقْنَعَتني، لكنَّ الاحتفالاتِ بأَعيادِ الميلادِ في صَفّي وفي مَدرسَتي تخنقُني فأَشعرُ بحرَجٍ شَديد. فبينَ أَفكارِ والدي وسُلوكِ مَدرَسَتي هُوّةٌ واسعة، فهُو يُربّينا في البيتِ على قِيمٍ ومَعانٍ تختلفُ عما أَراهُ في المدرَسَة، هُو في وادٍ ومدرَستي في واد. وأَحيانًا أَتساءَل: أَليسَ طاقَمُ المدرسةِ مِنَ المسلمينَ مثلُ أَبي؟
- المسأَلةُ إذًا أن أَباكِ مُتديّن!
- إنّه مُسلمٌ يُحبّ دينَه ويَعتَزُّ بِه. السؤالُ الذي يحيّرني هو أَنَّ أَبي مُسلمٌ وأَنتُنَّ مُسلِمات! فأيُّكم عَلى حَقّ؟!

***

أَنقذَني الجَرسُ مُعلِنًا نهايةَ الحِصّة، فخَرجْتُ للفُسحَةِ محاولةً كَفكَفةَ دُموعي، أُحاولُ الانزواءَ بعيدًا عَن أَعيُنِ الطَّالباتِ اللواتي سخِرَت بَعضُهنّ مِني، وأَبدَتِ الأُخرياتُ شَفَقةً هِي أَصعبُ من سُخرية الأُوليات. ها هِيَ مُديرَةُ المدرَسَةِ تقتربُ مني:

- لا تَقلَقي. أَخبرَتني مربيةُ صَفّكِ أَنّ أَباكِ مِن الطّرازِ القَديم وأَنَّه يُعارِضُ الاحتفالَ بعيدِ ميلادِك. اعتَبرينا أُمَّكِ وَأَباك..
- كلا يا مُديرَتي.. مَع احترامي لكِ فإِنَّني لا أَستبدِلُ أَبي وأَمي بأَحدٍ سِواهُما.
- لكنَّ أَباكِ يُسبِّبُ لكِ الحرَج، وهُو الذي يمنعكِ من الفَرَح في يومِ عيدِك.. يَبدو أَنَّهُ من النوعِ الذي يستمتعُ بالحزنِ وتَقطيبِ الجبينِ

وحِرمانِ الآخَرينَ مِن ابتِساماتِهم.

- لا تقولي هذا.. أَرجوكِ.. ليسَ مِثلَ أَبي أَبٌ في كُلِّ الوُجود. غُرفتي مَلأى بالأَلعابِ والهَدايا، وهو يأخُذُنا نهايةَ كلِّ أُسبوعٍ إلى جَولةٍ أو نُزهةٍ أو رِحلَةٍ نَقضي فِيها أَجملَ السَّاعاتِ والأَوقات.

- لكنّه على ما يَبدو يُعقّدُ الأُمور. فكُلُّ الطالباتِ يحتفِلنَ بعيدِ الميلاد. حَتى أَنا أَيضًا أَحتَفِلُ بهذهِ المناسَبَة، فقبلَ أُسبوعَينِ أَطفَأْتُ خمسينَ شَمعة..

تلعثَمَتِ المديرةُ قَليلاً، وكَأنّها تَذَكَّرَتْ أَنَّهُ ما كانَ لها أَن تَبوحَ بعددِ السنين التي انقضَتْ مِن عُمُرِها، وهي التي تبذلُ دائِمًا كُلَّ جُهدِها لِتبدو أَصغرَ مِن ذلك بكثيرٍ. ابتَسمتُ وَقُلتُ لها:

- إذًا أَنتِ يا مُديرَتي عَلى مشارِفِ الخَمسين!

- نعم، لكني ما زِلتُ في رَيعانِ شَبابي. لكنَّ هذا ليسَ شأنُكِ. سَأُرسلُ مُستشارةَ المدرسةِ إلى بَيتِكُم في نهايَةِ الأُسبوعِ لكَي تَسمعَ من والدِكِ موقِفَهُ بالتَّفصيل. إنها تُفكّر مِثلي تمامًا.. إنها تَعتَقدُ أَنَّ الآباءَ الذينَ يحرِمونَ بناتِهم منَ الاحتِفالِ بعيدِ الميلاد مُجرِمون بحقِّ فَلَذاتِ أَكْبادِهم! فهُم يُعرّضونَ بناتِهم للحَرَجِ الشَّديدِ ويجبرونهنّ على مُقاطَعةِ هذهِ الاحتفالاتِ الرَّائعة.

- إنَّ أَبي لم يُجبرني عَلى شَيء. لقدَ شَرحَ لي موقِفَهُ وترَكَ لي الخَيار.. وأَنا محتارةٌ بين طاعَةِ والِدي الذي أُحبُّه وأَحترمُ رَأْيَه وبينَ هذا الوضعِ الذي أَعيشُهُ في مدرَسَتي.

- فليُغيّر أَبوكِ رأْيَه إذًا!

- ولماذا لا تُغيّر المدرسةُ رَأيَها وموقِفَها؟!

فُوجِئَتِ المديرةُ من جَوابي.. وقالَت:

- ماذا تَقصِدين؟
- أَقصِدُ هَلْ بحثتم في يَومٍ من الأَيّامِ مَوضوعَ أَعيادِ الميلاد، وجُذورَها التّاريخيّة ومَغزاها ولماذا نحتفلُ بها؟
- كلا، لم نَبْحَثْ فِي الموضُوعِ. إِنّهُ أَمرٌ طَبيعيّ وجُزءٌ لا يَتجَزَّأُ من حَياتنا. بلْ لَو نَظرتِ إِلى بَرامِجِ التِّلفاز وإِلى المسلسَلات، ولو بحثْتِ في كُلِّ أَنحاءِ العالمِ لوجَدتِ أَنّهم يحتفلونَ بأَعيادِ مِيلادِهم. فلِمَ نَبحَثُ فِي الموضوعِ؟ إِنَّهُ أَمرٌ بَدَهِيّ مَفروغٌ مِنْه. مِنَ الأَجدَرِ أَنْ يَبحَثَ أَبوكِ فِي الموضوعِ!

في تلكِ اللحظة، أَحسستُ أَنَّ اللهَ هَداني لاقتِراحٍ يُخرجُني من الأَزمَةِ وينهي هذا الصِّراع:

- لَقَد بَحَثَ والِدي فِعلًا فِي الموْضوعِ. فَما رأيُكِ يا مُديرَتي لو استضَفتُموهُ ليُلقي محاضَرةً عَلى طاقَم المعلماتِ ليُعيدَ عَلى مسامِعِكُنَّ ما قالَهُ لي، وليوضّحَ وُجهةَ نظرِهِ التي تَوَصَّلَ إِلَيها بَعد البَحث، ثمَّ تُناقِشنَه، فإِمّا أَن تَقتَنِعْنَ أَو أَن يَقتَنِعَ بآرائكُنَّ. إِنَّ والدي يُؤمنُ بالحِوارِ والتَّفاهُم والإِقناع.
- قَبِلتُ التَّحدّي! سَأَطلبُ من المستشارةِ إِذًا أَن تحدِّد مَوعدًا لاستضافَتِه في قاعَةِ المدرَسَة، فنَحنُ نشجّعُ انخراطَ الأَهلِ في الحياةِ المدرسيّة. أَنا واثقةٌ مِن أَنَّهُ سيُغيّر رأيَه.

وبالفِعل، قَبِلَ والِدي دَعْوةَ المدْرَسَة، وأَعدَّ محاضَرةً تُوضِّحُ مَوقِفَهُ الذي تَوَصَّلَ إِليهِ، وكانَت هذِه محاضَرَتُه..

أَعيادُ المِيلادِ الشَّخْصِيَّة مِنَ الفَراعِنَة وَحَتّى اليَوْم

حَضَراتِ المعلماتِ الكَريمات..

سَأَقصُّ عليكُنّ باختِصارٍ قِصَّةَ أَعيادِ الميلاد الشَّخصِيّة، وأَرجو أَن تَنتبِهنَ لتَفاصيلِ هذِه القِصَّة لأنَّ لَنا حَديثًا بعدَها.[3]

يعودُ تاريخُ أَعيادِ الميلادِ إلى عَهدِ الفَراعِنة، قَبل ميلادِ المسيحِ بِـ 3000 سنة، أَي قَبل نحو 5000 سنَةٍ مِنَ اليَوم. كانوا في مِصرَ يُسجّلونَ تَواريخَ الميلادِ ويحتفلونَ بعيدِ مِيلادِ ذُكورِ أَطفالِ العائِلَة المالِكَة، أَمّا في الطَّبقاتِ الدُّنيا فلَم يَكُن عِيدُ الميلادِ شائِعًا.

اقتَبَس الإغريقُ، أَيْ سُكّانُ اليونانِ القَديمَةِ، عَن المِصريين فكرةَ الاحتفالِ بِأَعيادِ الميلاد، فكانوا يحتفلونَ بعيدِ ميلادِ الآلهةِ التي يُؤمنونَ بها. ثمَّ جاءَ بعدَهُمُ الرُّومانُ وأَضافوا لمسَةً جَديدةً عَلى هذِه الاحتفالاتِ حيثُ كانوا يحتفلونَ بعيدِ ميلادِ كبارِ رجالِ الدَّولةِ ويعتبرونَهُ عُطلَةً رَسمِيَّةً في كُلِّ أَنحاءِ الإمبراطُورِيَّة.

وبِظُهورِ الدِّيانةِ النَّصرانِيَّةِ اختَفت عادَةُ الاحتفالِ بِأَعْيادِ مِيلادِ الأَشخاصِ فَترةً مِنَ الزَّمَن، حيثُ كانَ النَّصارى يَعتَقِدونَ أَنَّ الأَطفالَ يُولَدونَ وهم يحملونَ داخِلَهم الخطيئةَ الأُولى المتعلِّقَةَ بآدمَ وزوجِه، وأَنَّ العالمَ مَكانٌ قاسٍ مَليءٌ بالخطايا، ولهذا ليسَ هُناكَ سَبَبٌ للاحتِفالِ بأَعيادِ الميلاد.

كَمَا أَنَّ آبَاءَ الكَنيسَةِ الأَوَّلِينَ عَارَضُوا أَعْيادَ المِيلَادِ لِأَنَّهُمُ اعْتَبَروها جُزْءًا مِنَ الْعَادَاتِ الوَثَنِيَّةِ المأْخوذَةِ عَنِ المِصْرِيّينَ والإِغْرِيقِ. وَعِنْدَمَا حاوَلَتْ مَجْموعَةٌ مِنَ المؤَرِّخِينَ فِي القَرْنِ الثّالِثِ المِيلَادِيِّ تَحْديدَ مِيلَادِ المسيحِ بِشَكْلٍ دَقيقٍ اعْتَرَضَتِ الكَنيسَةُ وَقَالَتْ إِنَّ البَحْثَ عَنْ تَارِيخِ مِيلَادِ المسيحِ أَمْرٌ خَاطِئٌ. وَفِي القَرْنِ الرّابِعِ

3- هذا الفصل المتعلق بأعياد الميلاد يعتمد بشكلٍ أساسي على كتاب "قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء"، تأليف تشارلز باناتي، ترجمة مروان مسلوب، إصدار الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع (الخُبر، السعودية)، ودار الخيّال (بيروت، لبنان)، الطبعة الأولى 2003.

الميلَاديِّ عَدَّلَتِ الكَنيسَةُ مَوْقِفَها وَقَامَتْ بِبَحْثٍ لِتَحْدِيدِ تَارِيخِ مِيلَادِ المَسيحِ. وَهَكَذَا بَدَأَتِ الِاحْتِفالاتُ بَعيدِ مِيلَادِ المَسيحِ، وَعادَ العالَمُ الغَرْبِيُّ مِنْ جَديدٍ لِلِاحْتِفَالِ بِأَعْيادِ مِيلَادِ الأَشْخاصِ. وَمِنَ العالَمِ الغَرِبِيِّ انتقَلَت هذهِ العادَةُ إلينا نحنُ المسلِمين، لأَنَّنا صِرنا نُقَلِّدُهُم في كُلِّ شَيءٍ!

كَعْكَةٌ مُستَديرَةٌ مُكَلَّلَةٌ بِالشُّموعِ!

كَانَتْ عادَةُ صُنْعِ كَعْكَةِ عِيدِ المِيلَادِ مَوْجودَةً فِي السّابِقِ لَدَى الإِغْريقِ، وَهُمْ أَخَذُوهَا بِدَوْرِهِمْ عَنِ الفُرسِ. كَانَ عُبّادُ الإلهَةِ "أَرْتيمِيسْ" إلهَةَ القَمَرِ والصَّيْدِ يَحْتَفِلُونَ بِعيدِ مِيلَادِهَا فِي السّادِسِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ بِإِعْدَادِ كَعْكَةٍ كَبيرَةٍ مِنَ الطَّحينِ والعَسَلِ، وَكَانَتِ الكَعْكَةُ تُزَيَّنُ بِالشُّموعِ المضِيئَةِ الَّتِي تَرْمُزُ عِنْدَهُمْ إِلَى ضَوْءِ القَمَرِ وَشُعاعِ الإلهَةِ المنْعَكِسِ عَلَى الأَرْضِ. فَالشُّموعُ الموْضوعَةُ عَلَى الكَعْكَةِ تَجْعَلُها مُضَاءَةً مِثْلَ القَمَرِ المسْتَديرِ، وَكَانَ الإِغْريقُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الدُّخّانَ المنْبَعِثَ مِنَ الشُّموعِ يَحْمِلُ صَلَواتِهِمْ إِلَى إلهَةِ القَمَرِ.[4]

عِنْدَمَا ظَهَرَتْ عادَةُ الاحْتِفالِ بِأَعْيادِ مِيلَادِ الأَشْخاصِ فِي العالَمِ الغَرْبِيِّ مِن جَديد عَادَتْ مَعَهَا كَعْكَةُ المِيلَادِ المتَوَّجَةُ بِالشُّموعِ. فَقَدْ ظَهَرَتْ عِنْدَ الخَدَمِ الأَلْمانِ فِي القَرْنِ الثّالِثِ عَشَرَ المِيلَادِيِّ، أَيْ خِلالَ العُصُورِ الوُسْطَى، بِأُسْلوبٍ جَديدٍ مِنَ الاِحْتِفالاتِ، سُمِّيَتْ بِـ"عِيدِ الأَطْفالِ". كَانَ عِيدُ الأَطْفالِ يَبْدَأُ مَعَ بُزوغِ الفَجْرِ بَعْدَ أَنْ يَتِمَّ إِيقَاظُ الطِّفْلِ المُحْتَفَى بِهِ عِنْدَ وُصولِ الكَعْكَةِ المكَلَّلَةِ بِالشُّموعِ الموقَدَةِ. كَانَتْ هَذِهِ الشُّموعُ تُبَدَّلُ كُلَّمَا ذَابَتْ حَتَّى يَتِمَّ تَناوُلُ طَعامِ العَشاءِ، وَمِن ثَمَّ يَقْطَعُونَ الكَعْكَةَ وَيَتَناوَلونَها. وَكَانَ عَدَدُ الشُّموعِ بِعَدَدِ سَنَوَاتِ عُمرِ الطِّفْلِ مُضَافٌ إِلَيْهِ شَمْعَةٌ واحِدَةٌ تُمَثِّلُ "ضَوْءَ الحَياةِ". وَكَانَ الأَطْفالُ الأَلْمانُ يُضْمِرونَ أُمْنِيةً تَبْقَى سِرًّا

4-أُنظر: فيديو
https://www.feedo.net/LifeStyle/Occasions/OriginOfBirthdayCelebration.htm

فِي أَنْفُسِهِمْ، وَإِذَا أَرَادُوا تَحْقِيقَ الأُمْنيةِ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطْفِئُوا الشُّموعَ بِنَفْخَةٍ واحِدَةٍ.[5]

وَيَرْتَبِطُ الاِحْتِفالُ بِعِدَّةِ خُرافاتٍ، مِنْ بَيْنِها أَنَّ يَوْمَ مِيلَادِ الإِنْسانِ هوَ اليَوْمُ الذِي تَزيدُ فِيه احْتِمالاتُ تَعَرُّضِهِ لِأَذَى الرّوحِ الشِّرّيرَةِ، وَلِهَذَا يَجِبُ أَنْ يُحاطَ فِي يَوْمِ ميلادِهِ بِالأَهْلِ والأَصْدِقاءِ والهَدَايَا والأُمْنياتِ الحَميدَةِ، وَإِنَّ كَمَّ الضَّوْضاءِ التِي تُحِيطُ بِهِ فِي هَذَا اليَوْمِ هُوَ المِقْياسُ الذِي يُقاسُ بِهِ مَدَى النَّجاحِ فِي إِبْعادِ الرّوحِ الشِّرّيرَةِ عَنْهُ.[6]

سَنَة حِلْوَة يا جَمِيل!

صَدَرَت أُغنِيَةُ "هابي بيرث دِي تُو يو"(Happy Birthday To You) في ولاية كِينتاكي الأَمريكية سَنة 1893 مِيلادِيَّة في كِتابٍ قِصَصٍ عَلى شَكلِ أُغنياتٍ مخصَّصةٍ لرياضِ الأَطفال. وُضِعَ الكتابُ من قِبَلِ الأُختَين "باتي سميث" و"ميلدريد"، أَمّا اللَّحنُ فقد وضعَتْهُ عازِفَةُ أُورغ في الكنيسَة اسمُها «كيلدريد». كانَ اللَّحنُ بالأَساس لأُغنِيَةٍ صَباحِيَّةٍ مخصَّصَةٍ للترحيبِ بالأَطفال في رياضِهم، ثُمَّ تحوَّلُ اللَّحنُ ليُصبِحَ لحنًا لأُغنيةٍ تخصُّ الاحتفالَ بأَعياد الميلاد. فقد قامَ أَحَدُ المؤلفينَ بإدخالِ افتتاحيةِ "هابي بيرث دِي تُو يو" إلى الأُغنِيَةِ بَدَلاً من جملَة "صَباح الخير أَعزاءَنا الأَطفال". وفي السَّنواتِ التّالِيَةِ نُشِرَت الأُغنِيَةُ مَرّاتٍ عِدّة مَع تَعدِيلاتٍ طَفيفَةٍ عَلى كَلِماتها في كُلِّ مَرَّة.[7]

هَل رَأَيتنّ أَيَّتُها الكَريماتُ كيفَ بَدأَتِ الاحتفالاتُ وكيفَ تطوَّرت؟ شُعوبٌ تُقدّسُ أَبناءَ الملوكِ فيحتَفلونَ بهم، وشُعوبٌ تَعبدُ الآلِهةَ وتوقِدُ لها الشُّموع،

5- بتصرّف من "قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء"، تأليف تشارلز باناتي، ترجمة مروان مسلوب، إصدار الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع (الخُبر، السعودية)، ودار الخيّال (بيروت، لبنان)، الطبعة الأولى 2003، ص47-53.

6- محتوى هذه الفقرة من: فيديو،

https://www.feedo.net/LifeStyle/Occasions/OriginOfBirthdayCelebration.htm

7- بتصرّف من "قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء"، تأليف تشارلز باناتي، ترجمة مروان مسلوب، إصدار الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع (الخُبر، السعودية)، ودار الخيّال (بيروت، لبنان)، الطبعة الأولى 2003، ص47-53.

وخُرافاتٌ يُؤمن بها الأَطفالُ وأَهاليهِم. هَل هذا هُوَ ما تُريدونَ لي أَنْ أَحتَفِلَ به؟! أَلَمْ نَتَحَرَّرْ مِنَ الشِّرك والوَثنيّة عندَما جاءَنا الإِسْلام؟! بَل حَتى النَّصارى الذين عارَضوا الاحتِفالَ في بدايَةِ الأَمر اعتَقدوا أَنّ الإِنسانَ يولدُ وهو يحملُ خطيئةَ آدم عليه السلام، وهذا ما لا يُؤمِنُ به المسلمونَ، إذ إنَّ المسلمينَ يَعتبرون أَنّ الله غفرَ لآدم معصيته، وأَنَّ الله لا يحمّلُ نَفسًا وِزرَ أُخرى. إِنّنا نُعارِضُ الاحِتفالَ بِأَعيادِ الميلادِ اعتِمادًا عَلى فَهمِنا لِدينِنا فَقَط، فَدينُنا هُوَ الميزانُ الذي تُوزَنُ بِهِ القَضايا والمسائِل، وهُوَ المرجِعِيَّةُ التي نَرجِعُ إِلَيها عندَما تَلتَبِسُ عَلَينا الأُمور.

تَأْريخٌ بِلا مَعنى!

أَما التَّأْريخُ[8] الغَربيُّ الذي تُريدونَ لي أَن أَستَخدِمَهُ من أَجلِ الاحتِفالِ كُلَّ سَنَةٍ بتاريخِ مِيلادي أَو بِتاريخِ ميلادِ ابنتي، فهُوَ بِدونَ مَعنى حَقيقيّ، بل فِيهِ خداعٌ للذات، وأَنا شَخصيًا لا أُحبّ أَن أَخْدَعَ نَفسي وَلا أَن يخدَعَني الآخَرون. إِنَّ التَّمَسُّكَ بالتَّأْريخِ الغَربيّ يَدلُّ عَلى جَهلٍ بحَقائِق هَذا التَّأْريخ، وسَوفَ أُبينُ لَكُنَّ ذلك. صَحيحٌ أَنّ التَّأْريخَ الغَربيَّ مُنتشرٌ اليَومَ حَتى في البُلدانِ الإسلامِيَّة، وذلك بِسبَبِ ضَعفِ المسلمينَ وابتعادِهِم عن دينِهم وتَفَوُّق غَيرِهِم عَلَيهِم، لكِنَّنا عِندَما نَستخْدِمُهُ مُضطرّين في مُعاملاتِنا الرَّسمِيَّةِ وَاليَومِيَّةِ عَلينا أَن نُؤمِنَ في داخِلِنا أَنَّهُ خَطَأ، وأَنَّهُ مَفروضٌ عَلَينا، وأَنْ نَسْعَى إِلى مَجيءِ اليَومِ الذي نَتَخَلَّصُ فِيه مِن هَذا التَّأْريخِ وأَن نَعودَ إلى التَّأْريخِ الهِجريّ.

سأُحدّثِكُنَّ باختِصارٍ كيفَ نشأَ التَّأريخُ الغَربيُّ الذي نستخدِمُه اليَوم، والذي يُسمَّى أَيضًا التَّأْريخَ الجريجوري أَو النّصراني، وقدِ استَقيتُ الكثيرَ مما سأقوله الآن من مقالةٍ يمكنُ للراغبين الاستزادةَ منها.[9] لكن قبلَ ذلك، أَودُّ أَن

8- التأريخ (بهمزة) أي تسجيل أحداث التاريخ استنادًا إلى حدثٍ هامّ ومُحدد.

9- بتصرّف عن مقال بعنوان "استخدام التاريخ الميلادي" للشيخ عبد اللطيف القرني، موقع الدُّرر السَّنِيَّة https://www.dorar.net/article/223

أَتطرّقَ إلى الفرقِ بين التَّقويمِ القَمَريّ المعتمِد عَلى حركَةِ القَمَر، وبينَ التَّقويمِ الشَّمسِيّ المعتمِدِ عَلى حركَةِ الشَّمس.

التَّقْويمُ القَمَرِيُّ هُو الأَنْسَبُ

تَدورُ حياةُ المسلمينَ حولَ التَّقويم القَمَرِيّ فقط. فصَومُ رَمضانَ فرضٌ لا يتعلّقُ بوقوعِ شَهر رَمَضان في الصَّيفِ أَو في الشِّتاء، في تموزَ أَو في كانونِ الأول. وكذلك الأَمرُ بالنِّسبة للحَجِّ حيثُ يَكونُ في شَهرِ ذِي الحِجَّةِ بِغَضِّ النَّظَر إنْ كان ذو الحِجَّةِ مُوافِقًا لِشُباط أَو لِحُزيران. كَما أَنَّ المسلمِين يحتَكِمونَ إلى التَّقويمِ القَمَرِيّ وَالسَّنَة الهِجرِيَّةِ فَقَط، فَمَثلاً يتمُّ حِسابُ الزَّكاةِ بِناءً عَلى السَّنةِ الهِجرِيَّةِ وليسَ حَسْبَ السَّنَةِ الميلادِيَّة. وإِنَّ كُلَّ يَومٍ في السَّنةِ الهجرِيَّة لَه مَكانتُهُ عِند الله وملائكتهِ وعندَ المسلمينَ. فاليَومُ الأَخيرُ من رَمضان هو يومُ صيامٍ يحرمُ الفِطر فيه، أَما الأَول من شَوال فهو يومُ عيدٍ يحرُمُ الصيام فيه. أَي أَنّ الحَلالَ والحَرام، الذي تُسجِّلُه عَلينا الملائِكَةُ ويحاسِبُنا اللهُ عَلَيه هُوَ حَسْبَ التَّقويمِ القَمَرِيّ فَقَط. وقد دَلّتِ النُّصوصُ الشَّرعية أَنّ المُعوَّل عَليهِ والمُعتبرَ هُوَ التَّقويمُ القَمَرِيّ، حيث أَخبرَنا الله تَعالى في القُرآن الكَريمِ أَنّ القَمرَ لِلحساب وَليَس الشَّمس: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾[10]، فجعلَ الهِلالَ عَلامةً عَلى بدايةِ الشَّهرِ ونهايَتِه، فبِطلوعِ الهِلالِ يَبدأُ شهرٌ وينتهي آخَرُ فتكونُ الأهلّةُ، وهَذا يدلُّ على أَنَّ الشَّهرَ قَمَرِيٌّ لارتباطِه بالأَهِلَّة وهي مَنازِلُ القَمَر. قالَ تعالى: ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** ﴾[11]. وقال صَلى الله عليه وسلَّم: «**لا تصوموا حتى تروا الهِلالَ ولا تُفطِروا حتى تَروه فإنْ أُغمِيَ عَلَيكُم فاقدِروا لَه**».[12]

10- سورة البقرة، الآية 189.

11- سورة التوبة، الآية 36.

12- رواه مسلم، الحديث 1080.

والتَّقويمُ القَمريُّ يَعتمِدُ على دَورة القَمَرِ حَولَ الأَرض، ووِفقَ حَرَكَةِ القَمرِ تحصُلُ الشُّهور[13]، وكُلُّ دورَةٍ للقَمَرِ حَولَ الأَرضِ تمثِّلُ شهرًا قَمريًا تبلغُ مدّتُه 29.25 يومَاً تقريباً، وعَلى هذا الأَساسِ فَإنَّ السَّنَةَ القَمرِيَّةَ تَكونُ 354.36 يوماً، أَي أَقَلّ مِن عَدَد أَيّامِ السَّنَة الشَّمسِية بـ(10.88) أَيّام. والشَّهرُ القَمَرِيُّ عِبارَةٌ عَن دَورَة القَمَر الفَلَكِيَّة الثّابتة، وتَتَكَرَّرُ هذِه الدَّورَةُ اثنَتي عَشرَة مَرَّة، وبذلِكَ تتكَوَّنُ السَّنَةُ القَمَرِية مِن اثني عَشَر شَهرًا. أَمَّا التَّقويمُ الشَّمسِيّ فيَعتَمِدُ عَلى دَورَة الأَرض حَولَ الشَّمْس، والَّتِي تَتِمّ مرّةً واحِدَةً خِلالَ 365 يَوماً ورُبع اليَوم تَقريباً، ولهذا فَإنّهم يزيدونَ كُلَّ أَربَعِ سَنَواتٍ يَومًا لِشَهر شُباط لتَكونَ السَّنَةُ كَبيسةً وعَدَدُ أَيّامِها 366. وفي هَذا التَّقويم تَأتي الفُصولُ الأَربعة في مَواعيدَ ثابِتَةٍ سَنويًا، أَي أَنَّ أَساسَهُ الفُصولُ وليسَ الشُّهور.

التَّأْريخ الذي نَستخدِمُه غَربِيّ نَصر انيّ

كانَ التَّأْريخُ بالأَشهُرِ مَعروفًا عندَ الرُّومانِ قَبلَ مِيلادِ المسيحِ عَليهِ السَّلامُ بـِ 750 سَنة، وكانَ تقويمُهُم قَمَريًّا تتألَّفُ السَّنَةُ فيهِ مِن عَشرة شُهورٍ فَقَط. وعِندَما جاءَ مَلِكُ روما توما الثاني أَضافَ شَهرَي يَناير وفِبراير فَأَصبحَتِ السَّنَةُ تَتَأَلَّفُ مِن 355 يَوماً. وفي سَنة 46 قَبلَ الميلادِ وَضَعَ الفَلَكِيُّ المِصرِيُّ سوريجين تَأْريخاً مُستَنِداً إلى السَّنَةِ الشَّمْسِيَّة بَعدَ أَن طَلَبَ مِنهُ الإمبراطورُ الرّوماني يوليوس قَيصر وَضْعَ تَأْريخ حِسابيٍّ يَعتمِدُ عَليه. وبِالتَّالي تحوّلَ الرّومانُ مِنَ العَملِ بِالتَّقويم القَمَرِيّ إلى التَّقويمِ الشَّمسِي، وسُمي هَذا التَّأريخ بالتَّأْريخِ اليُوليُوسِيّ نِسبةً إلى الإمبراطورِ يوليوس قَيصر، وبَقِي هَذا التَّأْريخ مَعمولاً بِهِ في أُوروبا ولَدَى بَعْضِ الأُمَمِ الأُخرى.

وبعدَ مِيلادِ المسيحِ عَليهِ السَّلام، استمرَّ النَّصارى بِالعَمل حَسْبَ التَّقويمِ الشَّمسِي اليُوليوسي حَتى القَرن السّادِسِ أَو القَرن الثّامِن مِن مِيلادِ المسيح،

13- الشهرُ في اللغةِ معناهُ القَمر.

حيثُ قَرَّروا أَن تَكونَ بِدايةُ التَّأريخِ النَّصراني مِن أَوَّلِ السَّنَة الميلادِية، نِسْبةً إِلى مِيلادِ المسيح، وأَن تَكونَ بِدايةُ هذا التَّأريخِ في الأَوَّلِ من كانونِ الثاني وهو يومُ خِتان المسيحِ كَما يقولون؛ حيث أَنَّ ميلادَه كَما يُقالُ كانَ في 25 كانون الأول، وعندها عُرِفَ هذا التَّأريخُ بالتَّأْريخِ الميلادِيّ.

استمَرَّ العملُ بهذا التأَريخِ إلى عَهد بابا الكاثوليك "جريجوري الثالث عشر" الذي وجدَ أنّ العملَ بالتَّأْريخ اليوليوسي أَدّى إلى خطأٍ[14] في موعدِ عيد الفصح، فبدلاً من أَنْ يأتي العيدُ في موعِدِ الاعتدالِ الرَّبيعيّ في 21 مارس جاءَ الاعتِدالُ الرَّبيعيّ في 11 مارس، بفارِقِ عَشرة أيام. اعتَبرتِ الكَنيسةُ الكاثوليكيةُ أَنّ هذا الانحرافَ في تاريخِ عيدِ الفِصحِ غيرَ مرغوبٍ فيه، فقامَ البابا "جريجوري الثالث عشر" سنةَ 1582م بإدخالِ تَعديلٍ عَلى التَّأْريخ اليوليوسي وسُمي هذا التَّعديلُ بالتَّأريخِ الجريجوريّ، وانتشرَ العملُ به في غالبِ الدُّول النَّصرانية. هذا التَّأريخُ هُو الذي نستخدمُه اليومَ في حياتِنا اليَومِيَّة، وهوَ تَقويمٌ غَيرُ دَقيق، وهو يُسمَّى أيضًا التقويمَ الغربي والتقويمَ المسيحِيّ. ولكنْ كيفَ قامَ البابا بهذا التَّعديل؟ كلَّفَ البابا جريجوري أحَدَ الرُّهبانِ ليقومَ بالتعديل، فتمَّ الاتفاق على حذفِ ثَلاثَةِ أَيّامٍ عن كلّ 400 سنة مَضَت، وأَن تكونَ السَّنَة القرنِيَّة (التي هي من مضاعفات 100) سنةً بسيطَةً إلا إذا قَبِلتِ القِسمةَ عَلى (400) بدون باقٍ، وهكذا نامَ الناسُ مساءَ الخميسِ 4 أكتوبر 1582 واستيقظوا يومَ الجمعةِ فإذا بالتاريخ هُو 15 أكتوبر 1582!! كان هذا التَّعديلُ صادِمًا، ولولا مكانَة البابا الدّينِيَّة ما كانَ هذا الأَمرُ ليُقبَلَ عندَ مجموعِ الناس. اعتُمِدَ التعديلُ في البدايةِ مِن قِبلِ البُلدان الكاثولِيكيَّةِ في أُوروبا، وعارَضَتهُ الدُّولُ غيرُ الكاثوليكيّة مثل البروتستانتيَّة والأرثوذوكسيَّة الشرقيَّة، لكنّ هذهِ الدُّول اضطُرَّت بعدَ فترةٍ لاستِخدامِه، وقَد كانَتْ آخِرُ البُلدانِ الأُوروبيَّةِ الَّتِي اعتمدَتهُ اليونان سَنَة 1923.[15]

14- بسبب عَدَم مُطابقة السَّنَة الحِسابِيَّة عَلى السَّنة الفِعلِيَّة للشَّمس، ما أَدى إِلى وُجود فَرقٍ سنوي بين الحسابِ وبينَ الواقعِ الفِعلي.

15- هذه الفقرة بتصرّف من: تقويم_ميلادي https://www.marefa.org

أَمَّا الأَشْهُرُ الميلَادِيَّةُ التِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا السّنَّةُ حَسْبَ التَّقْويمِ الشَّمْسِيّ فَإِنَّهَا لَا تَتَعَلَّقُ لَا بِالشَّمْسِ وَلَا بِالْقَمَرِ، وَهِيَ ذَاتُ أَطْوالٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَبَعْضُهَا 28 يَوْمًا وَبَعْضُها 30 وَبَعْضُها 31. وَهِيَ فِي الأَصْلِ تَعودُ لِتَمْجِيدِ التَّأْريخِ الشَّمْسيّ لِآلِهَةِ الْرومانِ المَزْعومَةِ، حَيثُ يَنَاير (جوانس) هوَ إِلهُ البَوّاباتِ الرّومانيُّ، وَفَبْراير (فبروسْ) هوَ إِلهُ المَوْتِ، وَمارِس إِله الحَرْبِ، وَهَكَذَا. أَمَّا شَهرا يُولْيُو وَأُغُسْطُس فَيَعودان إِلَى تَمْجيدِ قائِديْنِ مِنْ قوّادِ الرومانِ هُمَا يولْيوسْ قَيْصَرَ الذِي أُطْلِقَ اسْمُهُ عَلَى الشَّهْرِ السّابِعِ بِاسْمِ «يُولْيُو» وَأُغُسْطُس الذِي أُطْلِقَ اسْمُهُ عَلَى الشَّهْرِ الثّامِنِ «أُغُسْطُس». وَقَدْ قَامَ مَجْلِسُ الشُّيُوخِ فِي عَهْدِهِ بِتَعْدِيلِ أَيّامِ هذَيْنِ الشَّهْرَيْنِ إِلَى واحِدٍ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا بَدَلًا مِنْ ثَلَاثِينَ يَوْمًا لِأَنَّهُ أَحْرَزَ فِي هذَا الشَّهْرِ أَعْظَمَ انْتِصاراتِهِ. وَعِنْدَمَا أَضَافُوا شَهْرَيْ يُولْيُو وَأُغُسْطُس لِلسَّنَةِ المِيلَادِيَّةِ حَدَثَ أَمْرٌ مُضْحِكٌ. إِذْ إِنَّهُمْ أَدْخَلوا هذَيْن الشَّهْرَيْنِ فِي وَسَطِ السَّنَّةِ، ولِهذَا فَإِنَّ شَهْرَ سِبْتَمْبِر كَانَ اَلشَّهْرَ السّابِعَ (septem = 7 بِاللاتينيَّةِ) فَصَارَ هُوَ الشَّهْر التّاسِع، وَأُكْتوبَر كَانَ الشَّهْرَ الثّامِنَ (octo = 8 بِاللاتينيَّةِ) فَصَارَ هُوَ الشَّهْر العاشِر، وَنوفَمْبِر الذِي كَانَ الشَّهْرَ التّاسِعَ (novem = 9 بِاللاتينيَّةِ) صَارَ الشَّهْرَ الحَادِيَ عَشَرَ، وَديسَمْبِر الذِي كَانَ الشَّهْرَ العاشِرَ (decem= 10 بِاللاتينيَّةِ) أَصْبَحَ الشَّهْرَ الثَّانِي عَشَر، أَيْ أَنَّ هذِهِ الأَشْهُرَ لَا مَعْنَى لَهَا عَلَى أَرْضِ الواقِعِ.

مِن هُنا، يَتَّضحُ لَنا أَنَّ التَّأْريخَ المِيلادِيّ نَتاجُ عَمَلٍ بَشَرِيٍّ خالِصٍ مَولودٍ في بِيئَةٍ رُومانِيّة، وحَضانَةٍ نَصرانِيَّة، ونَشَأَ برِعايةِ القَياصِرَة وتَعديلاتِ البابَوات والرُّهبانِ ولم يُعرَف إلا بَعدَ ميلادِ المسيحِ -عليه السلام- بقرونٍ عِدَّة ولم يُبْنَ على مولِدِه بِيَقين.[16]

16- بتصرّف عن مقال بعنوان "استخدام التاريخ الميلادي" للشيخ عبد اللطيف القرني، موقع الدُّرر السَّنِيَّة https://www.dorar.net/article/223

نَشْأَةُ التَّأْريخِ الهِجْرِيّ

في عَهدِ الخليفَةِ عُمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ بدأَ المسلمونَ العملَ بالتَّأريخِ الهجرِيّ، فَجَعلوا ابتداءَ التّاريخِ الإسلامِيّ من سنةِ وُقوعِ الهجرة النَّبويَّة، واختاروا أَن يَكونَ محرَّم أَوَّلَ شُهورِ السَّنَة. ولم يَكُن هذا التَّأْريخُ لعباداتهم فقط بَل لجميعِ أُمور دُنياهم، وكان شِعاراً للأُمَّةِ الإسلاميةِ في مُقابِلِ شِعاراتِ الأُمَمِ المخالِفة. وقد رفضَ الصحابةُ استخدامَ التَّأْريخِ الذي تستخدمهُ الأممُ المحيطةُ بهم، واختاروا تَأْريخًا يتميّزونَ بهِ ويُعبّرُ عن هُويَّتِهم الحَضارية. وبِالفعل، فإنَّنا نجدُهُ في كتبِ التراثِ الإسلامِيّ حيثُ يتذكَّرُ المسلمون من خلالِهِ وقائِعَ الإسلامِ وأَحوالَ المسلمينَ في الأَزمانَ السَّابقة. ولذا، فإنَّ من علماءِ المسلمينَ من يرونَ أَنَّ استخدامَ التَّأريخِ الميلادِيّ في حسابِ المواقيتِ والأَحوالِ تَشبّهٌ صَريحٌ بِالنَّصارى، لا سِيَّما وأَنَّ التَّاريخَ الميلاديَّ رمزٌ على دينهم؛ وإذا أَرَّخنا بتاريخهم؛ فمعناهُ أَنَّنا نتشبَّه بهم. وقد جاءَتِ النُّصوصُ الشرعِيَّةُ التي تحرِّم ذلك، ويدلُّ على هذا قولُه صلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّم: «من تَشبَّه بقَومٍ فهُو مِنهم». ويتضمَّنُ الحديثُ التَّشبهَ بِسِماتِ الكُفّارِ وعاداتهم وتقاليدِهم وأَزيائهم وكلِّ ما هو مِن خَصائِصِهم.

الاحتِفالُ بقُربِ الأَجل!

إنَّ مِن الأَولى أَنْ يحزنَ الإنسانُ كُلَّما انقضى عامٌ من عُمره، لا أَن يَفرح.

فالعمرُ مِثلُ الساعةِ الرَّملِيَّة، له مِقدارٌ محددٌ وينقُصُ بمرورِ الزَّمن. وكلما كَبر الإنسانُ سنةً نقصَ عددُ السنين الذي يفصلُ بينه وبينَ الموت، ولهذا فإنَّ من الغريبِ أَن يحتفلَ النّاسُ بقُرب انتهاءِ أَجَلهم، "وبدلًا من أن يحتفلَ الإنسانُ بعيدِ مولدِهِ كانَ الأَولى به أَن يَتذكَّرَ أَنّه كلما مرَّ عليهِ يومٌ من أَيّامِهِ فإنما هو يقتربُ من

النهايةِ، أَيِ الموت، فلتكُن له عِبرةٌ بانقضاءِ الأَيامِ والسِّنين".[17]

وقد يقولُ قائلٌ إنَّ هذا الكلامَ لا يُمكنُ للأَطفالِ أَن يَفهموه، وليسَ من المناسبِ أَن نحدِّثَهُم عنِ الموتِ وهم صِغار. ولو سلَّمنا بهذا الادِّعاء، فماذا مَعَ الشَّبابِ والرِّجال والنِّساء الذين يَلهونَ في أَعياد ميلادِهِم مِثلما يَلهو الأَطفال، غَيرَ مُعتبرينَ بزُخرفِ هذِه الحياةِ الدُّنيا الزَّائِل؟! أَمّا الأَطفالُ، فمِنَ الواجبِ أَلا نَغرِسَ فيهم هذِهِ العاداتِ في صِغرَهم، فها نحنُ نَرى أَنَّ العاداتِ تَنمو مَعَهم، وتُصبح جُزءًا من حَياتهم، لأَنَّنا نحنُ الكِبارُ مَنحناهُم الشُّعورَ بِأَنَّ الاحتفالَ بعيدِ الميلادِ جُزءٌ من حياةِ الإِنسان. فمَنِ الذي يُحرِجُ الآخَر؟! هل أَنا الذي أُحرِجُ أَبنائِي وبَناتي عِندما أَرفضُ الانصياعَ وَراءَ هذه العادَةِ الغَربيَّةِ الغَريبَة، أَم أَنتُنَّ اللاتي تغرسْنَ هذِهِ العاداتِ في نُفوس الصِّغار؟!

عِيدانِ لَنا لَيسَ أَكثَر!

إِذا كُنّا مُسلمين، وَنُؤمنُ باللهِ ورسولِه، عَلَينا أَنْ نتّبعَ سُنّةَ الرَّسولِ صَلّى الله عليهِ وسَلَّم الذي عَلَّمَنا أَنَّ لِلمُسلمينَ عِيدانِ[18] فَقط: عيدُ الفِطرِ ويومُ النَّحر. ومِنَ المهمِّ أَن نَعلَمَ أَنَّ الرَّسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وصحابَتَهُ الكِرامَ ومَن جاءَ بَعدَهُم لم يحتفِلوا بِتَواريخِ مِيلادِهم، فهَلْ نحنُ أَفضلُ مِنهم حتى نبتكِرَ هذِهِ العادات؟! وهل دينُنا ناقِصٌ حَتى نُكمِّلَهُ بمثلِ هذه المواعيدِ السَّنَوِية؟! إِنَّ دينَنا كامِلٌ شامِلٌ لِكُلِّ نَواحِي الحَياة، وليسَ هُناكَ أَيُّ داعٍ لأَن نُضيفَ عليهِ أَيَّ إِضافَةٍ بَشَرِيّة، فَقد جاءَ في القرآنِ الكَريمِ ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[19]، فمَن نحنُ حَتى نُضيفَ عَلَيه؟! إِنَّ للمُسلِمِ بَرنامَجٌ يَومِيٌّ كامِلٌ يَبدَأُ مِن صَلاةِ الفَجْرِ حَتى اللَّيل، فيهِ صَلَواتٌ وأَذكارٌ، وَعَملٌ

17- من فتوى على موقع "الإسلام ويب": www.islamweb.net/ar/fatwa/1319

18- العيدُ اسمٌ لكلّ ما يُعتادُ ويعودُ ويُكرَّر.

19- سورة المائدة، الآية 3.

وبِناءٌ، فيهِ طاعاتٌ وَفيهِ مُعاملاتٌ، وكُلُّ ذلكَ يملأُ حياتَهُ اليَومِيَّة وَلا يُبقي فيهِ أَيَّ مجالٍ لأَيِّ زِيادَة. بلْ إِنَّ الإِسلامَ يُعلِّمُنا كُلَّ شيء، بَدءًا من وِلادَةِ الطِّفلِ ورَفعِ الأَذان في أُذنه، وتَسمِيَتِه، وذبحِ العَقيقَةِ عَنهُ، وتَعليمِه الصَّلاةَ، ومُرورًا بكلِّ مراحلِ الحياةِ من بُلوغٍ وزواجٍ وتَأسيسِ أُسرَةٍ، حَتى الموت. ولم يُغفِلِ الإسلامُ أَيَّ لحظةٍ مِن لحظاتِ عُمرِ الإِنْسانِ دونَ أَن يعلمَهُ كيفَ يَتعامَلُ مَعَها، بَل إِنَّ دُخولَ الخَلاءِ لَهُ أَحكامٌ وَضَّحها لَنا الإِسلامُ، فهَل يُعقَلُ أَن يَكونَ موضوعُ تاريخِ الميلادِ سقطَ سهوًا منَ الشَّريعةِ حتّى نأخذَهُ منَ الغَرب ونُكمِلُ بهِ دينَنا؟! حاشا للهِ. لهذا، لم يبقَ لَنا سِوى السَّيرِ عَلى خُطى الرَّسولِ وسُنّته حتى نَنالَ رِضا اللهِ ونفوزَ بجنَّته ونَسعَدَ في الدّارَين.

لَهُم أَعيادُهُم وَلَنا أَعْيادُنا

أَعيادُ المسلمينَ لها مِيزتها الخاصَّة، وهِيَ تُخالِفُ أَعيادَ غَيرِهِم مِنَ الكُفّار، سَواءً كانوا وَثنيّينَ أَو أَهلَ كِتابٍ أَو غَيرِهم، في كَثيرٍ مِنَ الأُمور. وهَذا التَّمايُزُ مَقصودٌ، لأَنَّنا عندما نُخالِفُ الكُفّارَ فَإِنَّنا نُقَدِّمُ دَليلًا عَلى تَعبُّدِنا للهِ تَعالى وَأَنّنا نَكرَهُ الكُفرَ ونَتبرّأُ مِنه ومِن أَهْلِه. أَمّا التشبُّهُ بهم فَدَليلٌ عَلى ضَعْفِ الدِّينِ في قَلبِ العَبْد، ولهذا صارَ يُوالي الكُفَّارَ عَن طَريقِ مُشابهتِهم.

تختلفُ أَعيادُ المسلمينَ عَن أَعيادِ غَيرِهِم في كَثيرٍ من الصُّوَر، مِنها:

1. أَعيادُ الكُفّار تَثبُتُ بالحِساب، بينَما أَعيادُ المسلمينَ تثبُتُ بِالرُّؤيا.
2. تَرتَبِطُ أَعيادُ المسلمينَ بِعباداتٍ عَظيمَةٍ تُقرّبُ إلى اللهِ تَعالى. فعيدُ الفِطر يَأْتي تَتويجًا للصِّيامِ والقِيام، وعيدُ الأَضحى يَتخَلَّلُ شعيرَة الحجِّ ويَأتي بعدَ يومِ عرفَة أَفضلِ الأَيّام. أَما أَعيادُ الكُفّارِ فترتبطُ بأَوثانهم أَو بمفاهيمَ خاطِئَةٍ وَفاسِدَة.

3. شَعائِرُ الأَعيادِ في الإِسلامِ قُربةٌ إلى الله تَعالى، كَالسَّعيِ إِلى صَلاة الجُمُعَة، والتَّكبيرِ في العِيدَينِ وحُضور صَلاةِ العِيد. أَمّا أَعيادُ الكُفّارِ فَفيها كُفرٌ للنِّعمَة، وانغِماسٌ في الرَّذيلَةِ وَإِطلاقُ العَنانِ للشَّهَواتِ والغَرائِز.

4. لَدى المسلمينَ عِيدانِ حَوليّانِ هُما الفِطر والأَضحى، وهذا يدلُّ عَلى أَنَّ أُمَّةَ الإِسلامِ أُمَّةُ عَمَلٍ وجِدٍّ وَإِنتاج، تحملُ رِسالةً خالدةً لا بُدّ مِن تَبليغِها، ولا تخلُدُ إِلى الرّاحَةِ كَثيرًا إلا في الأَعيادِ، بل حَتى في هذِهِ الأَعيادِ هُناكَ عِبادات. أَمّا الأُمَمُ الأُخرى فقَدِ اتخذَت كُلُّ أُمّةٍ أَعيادًا كَثيرةً ما أنزلَ بها مِن سُلطان، قَد تَصِلُ إلى عِشرينَ وَثلاثينَ وَأَكْثر.

5. لا تَرتَبِطُ أَعيادُ المسلمينَ بمواقيتَ تُشبِهُ مَواقيتَ أَعيادِ الأُمَمِ الأُخرى، فهيَ لا تَرتبطُ بِرَأسِ السَّنةِ مِثلَ النَّصارى في عيدِ رَأسِ السَّنَةِ الميلادِيَّةِ أَو اليهودِ في رَأسِ السَّنَةِ العِبرِيَّة، وَلا تَرتَبطُ بِالكواكِب، ولا بالذِّكرَياتِ وَتَقديسِ الأَشخاص، وذلكَ حَتى يَبقى التَّوحيدُ صافيًا للهِ تَعالى. وهذه الأَعيادُ لا تَرتَبِطُ بالأُمورِ المادِيّة، ولا بِالقَومِيّاتِ العِرقيّة وَالوَطَنِيّة لِأَنَّ الأُخوَّةَ بينَ المسلمينَ هِيَ الرَّابِطُ بَينَهُم.[20]

وقَد يحتجُّ بَعضُ النّاسِ فَيقولون إِنَّ عِيدَ الميلادَ الشَّخْصِيّ عادَةٌ اجتِماعِيَّة، وَبِالتّالي لا بَأسَ مِنَ الاحتفالِ به، بينَما لَو كانَ عِبادةً يُتقرَّبُ بها إِلى اللهِ لكانَتْ ضِمنَ البِدَعِ التي دَخلَت عَلى الدِّين، وَالتي نُهينا عَن إِحداثِها. وَحولَ هذا الادِّعاءِ تَرِدُ الفَتوى التّالِيَةُ فَتُوضِّحُ الدَّليلَ الذي استندَ إِليهِ العلماءُ الذين مَنعوا عيدَ الميلادِ: «فَمُستندُ مَن مَنعَ الاحتفالَ بمثلِ هذهِ الأَعياد، ليسَ لأنها عِبادةٌ يَتقرَّب بها المحتفِلُ إِلى اللهِ تَعالى! وَإِنما أَصلُ ذلكَ هُو المنعُ منَ اتخاذِ أَعيادٍ غَيرِ واردةٍ في الشَّرعِ أَصلًا، حَتى وَلَو كانَت عَلى سَبيلِ العادَة، لا العِبادَة. فقَد كانَ لأَهلِ المدينَةِ

20- هذه المقارنة بين أعياد المسلمين وبين أعياد الكفار مُستقاةٌ بتصرّف من كتاب "أعياد الكفار وموقف المسلم منها"، إبراهيم بن محمد الحقيل، إصدار مجلة "البيان"، ص56.

عادَةٌ في اتخاذِ يَومَينِ يَلْعَبونَ فيهما، ولم يُقرُّهُم عَليها رَسولُ اللهِ صَلّى الله عَليهِ وَسَلَّم، وَمعلومٌ أَنهم لم يَتّخذوا ذلكَ دِينًا يَتقربونَ فيهِ إِلى الله، وَإنما هِي مجرَّدُ عادَةٍ تَعوَّدوا عَليها قَبل مجيءِ الإِسلام. قالَ الشَّيخُ ابن عثيمين -رَحمهُ الله-: تخصيصُ الأَيّامِ أَوِ الشُهورِ أَوِ السَّنواتِ بِعِيد، مَرجِعُهُ إلى الشَّرع، وَليسَ إِلى العادَةِ؛ ولهذا لما قَدِم النّبي صلى الله عليه وعَلى آلهِ وسَلَّمَ المدينةَ ولهم يومانِ يَلعبونَ فيهِما، فقال: «ما هذانِ اليَومان؟»، قالوا: كُنّا نلعَبُ فيهما في الجاهِلِيَّة، فقالَ رسولُ الله صَلّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وسَلَّم: «إِنَّ الله قد أَبدَلَكُم بهما خَيرًا منهما: يومَ الأَضحى، ويومَ الفِطر». ولو أَنَّ الأَعيادَ في الإِسلامِ كانَت تابِعةً للعاداتِ لأَحدَثَ النّاسُ لِكلِّ حَدَثٍ عِيدًا، ولم يَكُن للأَعيادِ الشَّرعِيَّةِ كَبيرُ فائِدَة».[21]

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

القرآن الكريم

21- فتوى على موقع إسلام ويب https://www.islamweb.net/ar/fatwa/404506

عاداتٌ غَرِيبَة!

سأُورِدُ بعضَ النَّماذِجِ مِن العاداتِ المنتشِرةِ الَّتي أَصبَحَت كَأَنَّها شَيءٌ مُقدَّسٌ في حَياتِنا، فَهَل نَمتلِكُ الشَّجاعَةَ لِكَيْ نَمتَنِعَ عَنها؟ وما أُريدُهُ هُوَ أَن نسأَلَ أَنفُسَنا دائمًا قَبل أَن نَتبنّى أَيَّ عادَةٍ اجتِماعِيَّة: مِن أَين أَتَتنا هذهِ العادَة؟ وهَل هي ضَرورِيَّةٌ لأمورِ دينِنا ودُنيانا؟ وما موقِفُ الشَّريعَةِ الإسلامِيَّةِ منها؟

بينَ "صَباحِ الخَير" وَ"السَّلام عَليكُم"!

ما سبق أَعلاهُ لا يَنطَبِقُ فَقَط عَلى ما يُسمَّى أَعياد الميلاد، بل عَلى الكَثيرِ مِنَ السُّلوكِيّاتِ التي أَتَتْنا مِنَ الغَرْبِ والشَّرْقِ وصارَت جُزءًا مِن حَياتِنا، حَتى أَصبَحَ البَعْضُ يَظُنّ أَنّها واجبٌ لا يُمكِنُ التَّخَلّي عَنه، وَأَنها تَدُلُّ عَلى التَّقَدُّمِ والرُّقِيّ، بينَما هِي في حَقِيقَتِها عكس ذلِك. ومِنْ أَمثِلَة ذلك إلقاءُ التَّحِيَّةِ، والذي يظنُّهُ البَعضُ أَمْرًا بَسيطًا، لكنَّهُ ليسَ كذلِك، وهُوَ يُبيّنُ الفَرقَ بينَنا وَبينَ الكُفّار. فَتَحِيَّةُ الإسلامِ هِيَ "السَّلامُ عَلَيْكُم". قولُها سُنّةٌ يُثابُ قائِلُها ويحصُلُ عَلى أَجرٍ وثَواب. أَما الردُّ على التَّحِيَّةِ فهُوَ فرضٌ، وَعَلَينا أَنْ نَرُدَّ التَّحِيَّةَ بمِثلِها أَو بِأَحْسَنَ مِنْها. قالَ رسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عليهِ وَسَلَّم: «**إنَّ السَّلامَ اسمٌ من أَسماءِ اللهِ تَعالى، وَضَعَهُ الله في الأَرض؛ فَأَفشُوا السَّلامَ بينَكُم**»[22]؛ والسَّلامُ تحيَّةٌ رضِيها الله لعبادِه، فعَن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنه، عَنِ النَّبي صَلّى اللهُ عليهِ وسَلَّم قالَ: «**خلَقَ اللهُ آدَمَ وطولُهُ سِتّون ذِراعًا، ثمَّ قال: اذهَب فَسَلِّم عَلى أُولئكَ مِنَ المَلائِكَة، فاستَمِع ما يحيُّونَك، تحيّتك وتحيّة ذريَّتِك، فقالَ: السَّلامُ عليكُم، فقالوا: السَّلامُ عليكَ ورحمةُ الله، فزادوه: ورحمةُ الله، فكلُّ مَن يدخُلُ الجنَّةَ عَلى صورَةِ آدَم، فلَم يزَلِ الخَلْقُ يَنقُصُ حتى الآن**».[23]

22- رواه الإمام البخاري في "الأدب المفرد". حديث حسن، كتاب "صحيح الأدب المفرد" للألباني، 1019.

23- البخاري حديث 6227 / مسلم حديث 2841.

أَمّا بِشَأْنِ فَضْلِ إفشاءِ السَّلامِ، فقد رَوى أَبو داوُد عَن عمرانَ بْنِ حُصينٍ، قالَ: **جاءَ رَجلٌ إِلى النَّبي صَلّى اللهُ عليهِ وسَلَّم فَقال: السَّلامُ عَلَيكُم، فَرَدَّ عَلَيهِ السَّلام، ثم جَلَس، فَقالَ النَّبي صَلّى اللهُ عليهِ وسَلَّم: «عَشرٌ»، ثم جاءَ آخَرُ فقال: السَّلامُ عليكُم ورَحمةُ الله، فردَّ عليه، فجَلَس، فقال: «عِشرون»، ثم جاءَ آخرُ فقال: السَّلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاته، فردَّ عليه، فجَلَس، فقال: «ثَلاثون».**[24] "تَأَمَّل -أَخي الكريم- في هذا الثَّوابِ العَظيمِ مِن رَبٍّ كَريم، وكَم تَكونُ حَسَناتُنا لوِ اتَّبَعنا هَدْيَ النَّبي صَلّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عِندَ تحيةِ إخوانِنا المسلِمين. عَجبًا لِكثيرٍ مِنَ الذينَ استَبدَلوا بالسَّلامِ تحيةً ما أَنزَلَ اللهُ بها مِن سُلطان، ولا شَرَعَها النَّبي صلّى اللهُ عَلَيه وسلم لأمَّتِه، مُتَّبعينَ في ذلكَ غيرَ المسلِمين!"[25] وعِندَما يَستَبدِلُ المسلمونَ هذه التَّحِية بتحياتٍ مِثل "مَرحَبا" وَ"صَباح الخَير"، ومِن جملة ذلكَ المعلماتُ والمعلمونَ في المدارِس، انظروا كَم يخسرونَ من حَسَناتٍ في كلّ درسٍ وفي كلِّ يَوم، وقد يَكونونَ في يومِ القِيامَةِ في أَشَدِّ الحاجَةِ إلى هذِهِ الحَسَنات.

وَالأَسْوَأُ مِنْ تَحيَّةِ "صَباحِ الخَيْرِ" تَحيّاتٌ أَجْنَبِيَّةٌ مِثْلَ "بَايْ" لِلْوَدَاعِ! فَتَحيَّةُ "يالا بَايْ" تَحْريفٌ لِتَحِيَّةٍ أَجْنَبِيَّةٍ لِلوَدَاعِ بَيْنَ النّاسِ فِي نِهايَةِ حَديثٍ هاتِفيٍّ أَوْ وَجاهِيٍّ، وَيَعُودُ أَصْلُها إِلَى مُسَلْسَلٍ تِلِفِزْيُونِيٍّ شَهيرٍ.[26]

24- حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني، 4327.

25- السلام تحية الإسلام، الشيخ صلاح نجيب الدق، موقع الألوكة،
https://www.alukah.net/sharia/0/106228/#ixzz6T1vjCdTU

26- معجم لغة الحياة اليومية، محمد الجوهري، «مركز التوثيق الحضاري والطبيعي» و«مركز الأبحاث الاجتماعية في جامعة القاهرة»، إصدار المكتبة الأكاديمية، 2007، ص571.

اللَّونُ الأَسْوَدُ لِلْحِداد!

مِن العاداتِ المنتشرَةِ اعتبارُ اللونِ الأَسودِ لَونًا لِلحِدادِ وَدَليلاً على احترامِ المتوفّى. فما أَصلُ هذهِ العادَة؟ كانَ الإنسانُ قَديمًا يدْهَنُ جَسَدَه باللونِ الأَسوَدِ لِكَي يحجُبَ عنهُ الأَرواح، وكانَت بَعضُ القَبائِلِ تدهَنُ أَجسادَها بِاللونِ المعاكِسِ لِلَونِ البَشَرَة لِكَي يَصْعُبَ التَّعَرُّفُ عَلَيهم مِن قِبَلِ أَرواحِ الموتى. وكانَتِ الأَرمَلَةُ ترتَدِي الأَسْوَدَ لِتَختَفي عَن رُوح زوجِها المتجوّلَةِ فِي البَيت.[27] فهل رَأَيتنّ مَصدَرَ هذِهِ العادَة؟ وماذا لَو لَبِسَ الإِنسانُ الأَبيضَ أَوِ الأَزرقَ أَوِ الأَصفَرَ خِلالَ الجَنازَة أَو خِلال أَيّامِ الحِداد، هَل في هذا إِشارةٌ إِلى أَنَّهُ لا يحترمُ المتَوفى أَو أَنَّهُ لَيسَ حَزينًا عَلَيه؟! أَليسَت هذِه سَخافة؟!

الفُسْتانُ الأَبْيَضُ لِلزّفَافِ!

وَمِن العَادَاتِ المنْتَشِرَةِ الَّتِي وَصلَتْنا مِنَ الغَرْبِ أَنْ تَلْبِسَ العَروسُ فُسْتانًا أَبْيَضَ في حَفْلِ الزّفافِ. والحديثُ هُنَا عَنِ اللَّوْنِ فَقَطْ، وَلَيْسَ عَنْ مَدَى مُلاءَمَتِهِ لِقيمَةِ الحَياءِ! فَهَذَا حَديثٌ آخَرُ. فَفِي أُورُوبَّا "قَبْلَ أَرْبَعِينَاتِ القَرْنِ التّاسِع عَشَر، لَمْ تَرْتَدِ العَرائِسُ اللَّوْنَ الأَبْيَضَ خِلالَ حَفَلاتِ زِفافِهِنَّ، وَكَانَتِ العامَّةُ تَتَجَنَّبُ ارْتِداءَ الملابِسِ مِنْ هَذَا اللَّوْنِ؛ إِذْ كَانَ مِنْ السَّهْلِ اتّساخُهُ بِالبُقَعِ وَمِن الصَّعْبِ تَنْظيفُ القماشِ الأَبْيَضِ بِاليَدِ وارْتِداءِ المَلابِسِ مُجَدَّدًا، وَاسْتَطَاعَتْ طَبَقَةُ الأَثْرِياءِ فَقَطْ تَحمُّل نَفَقَةِ ارْتِداءِ مِثْلِ هَذِهِ المَلابِسِ صَعْبَةِ الاعْتِناءِ".[28] ثُمَّ ارْتَدَتْهُ المِلِكَةُ فِكْتورْيا فِي زِفَافِهَا، وَانْتَشَرَ هَذَا اللَّوْنُ فِيمَا بَعْدُ بِسَبَبِ التَّصْويرِ وَوَسائِلِ الإِعْلامِ، وَأَصْبَحَ أَمْرًا شِبْهَ مُقَدَّسٍ!

27- "قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء"، تأليف تشارلز باناتي، ترجمة مروان مسلوب، إصدار الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع (الخُبر، السعودية)، ودار الخيّال (بيروت، لبنان)، الطبعة الأولى 2003، ص54-55.

28- فاطمة ندى، كان أسود في البداية.. قصة ظهور فستان الزفاف الأبيض:
https://www.sasapost.com/the-story-behind-the-white-wedding-dress

أَزرَقٌ لِلبَنين، زَهْرِيٌّ لِلبَنات؟!

تَعتَقِدُ الكَثيرُ مِنَ الأُمَّهاتِ اليومَ أَنَّ مَلابِسَ الذُّكورِ يجبُ أَن تَكونَ زَرقاء، وَأَنَّ مَلابِسَ الإناثِ يَجِبُ أَنْ يَكونَ لَونُها زَهرِيًّا، سيّما الأَطفال الذين يُولَدونَ حَديثًا. وأَصبحَ الأَمرُ وكأَنَّهُ أَمرٌ مُقَدَّسٌ لا يمكنُ الحيادُ عَنه، فهَل هذا حَقًّا أَمرٌ مَنطِقِيّ؟! وهل هُوَ أَمرٌ عِلمِيّ؟

تقولُ الباحِثةُ جي. بي. باولتي في كِتابها: «زَهرِيٌّ أَم أَزرَق: التمييزُ بين الشبّانِ والشابّاتِ في أَمريكا»[29] إِنَّ هذينِ اللَّونَين استُخدما عَشوائيًا في سَنة 1940م حيثُ اختارَهُما مُنتِجو الأَقمِشَةِ وَتجارُ الملابِسِ، حسبَما اعتَقدوا أَنَّ هذا هُو ما يريدُهُ الجُمهور. وكانَ مِنَ الممكِنِ أَن يكونَ العَكسُ كَذلك: أَزرَقٌ للبِنات وزَهرِيٌّ للبنين.

وَعِندَما جاءَت حرَكَةُ التَّحريرِ النِّسْويَّة في سَنَواتِ السِّتين، كانَت رِسالَتُها عَدَمُ التَّفريقِ بينَ الرِّجالِ والنِّساء، وبِالتّالي رَفَضَت تمييزَ الجِنسين بواسطَةِ اللِّباس، وصارَتِ الفتياتُ يَلبسنَ مِثلَ الشَّبابِ دونَ أَيِّ دَلالاتٍ تُشيرُ إِلى الاختلافِ بينَ الرَّجُلِ والمرأَة. وبَقِيَتِ الملابسُ هكذا حَتى سَنة 1985م، حيثُ أَصبحَ بمقدورِ الآباءِ أَن يَفحَصوا جِنسَ الجنينِ، وبِالتّالي شراءَ ملابِسَ وحاجِيّاتِ الأَطفالِ حسبَ نوعِ المولود. وبدأَتِ مَوضَةُ الأَزرَقِ والزَّهرِيّ بالانتِشارِ بحيثُ تشملُ كُلَّ أَغراضِ غُرفَةِ الطِّفل.

ومِنَ الجديرِ ذِكرُه، أَنَّهُ حتى الحربِ العالميةِ الأُولى لم يكُن تفريقٌ بينَ ملابِسِ الذُّكورِ والإناث. بل إِنَّ مَقالاً نُشرَ في صحيفةِ "Earnshaw" سنةَ 1918م جاءَ فيه: "إِنَّ القاعِدَةَ المقبولَةَ هِي زَهرِيٌّ للبنينَ وأَزرَقٌ للبنات، والسَّبَبُ في ذلكَ أَنَّ الزَّهرِيَّ لَونٌ أَكثَر قوّةً ولهذا فهو يُلائِمُ البَنين، بينَما الأَزرَقُ لونٌ رَقيقٌ وَمِنَ الأَجمَلِ أَن يَكونَ للبِنات"!!

29- Paoletti, J. B. (2012). ***Pink and blue: Telling the boys from the girls in America***. Indiana University Press.

الأُولِمْبْيادَة

يَشهَدُ العالمُ كُلّ أَربَعِ سَنَواتٍ أَلعابَ «الأُولمبيادَة»، الَّتي تشمَلُ طقوسًا مُشابهةً لتلكَ التي كانَت تَتِمُّ في اليونانِ. كانَ سُكّانُ اليونانِ الوثنيّين يحتفلونَ بالأَلعابِ الرّياضِيَّةِ تَكريمًا لِرَئيس آلهتهم «زِيوس» وأَعوانه، ويُنَظِّمونها في سَهلٍ تقعُ فيهِ قريةُ أُولمبيا، قُربَ جَبل الأُولمب حيثُ مَعبَدُهُم الأَكبر. وكانوا يُنظِّمونها كُلَّ أَربَع سَنوات، في البَدرِ الأَوَّلِ مِن الانقِلابِ الصَّيفي، في بِدايَةِ شَهرِ تمّوز تَقريبًا. وكانَ شِعارُ تِلكَ الأَلعابِ خمسُ دَوائرَ تُشيرُ إلى دوائِرِ القُرصِ الخَمس الذي كانَ يتدرَّبُ به «إيفيتوس» مَلِكُ «إيليس»، وليسَ كَما يُقالُ اليومَ إنَّ الدَّوائرَ تَرمُزُ إلى القارّات الخَمس. ومِن شعائِرِها الحالية أَنّ رِياضِيّي اليونان يَدخلونَ الملعبَ أَولاً لِذكرى الأَلعابِ القَديمة، ثم يدخُلُ لاعِبو الدُّوَلِ الأُخرى حسْبَ تَرتيبٍ أَلفبائِي لأَسماءِ دُولِهم بِلُغَةِ البلدِ المضيف.

وَتَتَمَيَّزُ هَذِهِ الْأَلْعَابُ بإيقادِ شُعْلَةٍ منَ النَّارِ، حَيْثُ أَنَّ النَّارَ فِي دِينِ الإغريق تُمَثِّلُ شَيْئًا مُقَدَّسًا وَرَمْزًا لِلطَّهَارَةِ وَالنّقَاءِ. وَكانَ شَرَفُ إِشْعَالِ اللَّهَبِ الأولمبي يُمْنَحُ للفَائِز فِي سِبَاقِ جَرْيٍ يَنْتَهِي عِنْدَ مَخرَجِ الْمَعْبَدِ الْمُقَدَّسِ لزيوس. وَعِنْدَمَا تَشْتَعِلُ النَّارُ إِيذانًا بِبَدْءِ الدَّوْرَةِ تَتَوَقَّفُ كُلُّ الْحُروبِ فِي بِلَادِ الإغريق الْقَدِيمَةَ وَتَبْدَأُ الْهُدْنَةُ. وقديمًا كَانَتِ الشُّعْلَةُ تُشْعَلُ عَلَى الْمَذْبَحِ الْمُقَدَّسِ فِي أولمبيا، وَفِي الْعَصْرِ الْحَالِيّ يَأْتِي عَدَّاءَانِ بِالشُّعْلَةِ مِنْ وَادي أُولمبيا مَكَان إقَامَةِ الْبُطولَةِ الْقَدِيمَةِ، وَيَشْتَرِكُ الْآلَافُ مِنَ الْعَدَّائِينَ فِي رِحْلَةِ الشُّعْلَةِ مِنَ الْمَذْبَحِ الْمُقَدَّسِ قَبْلَ أَرْبَعَةِ أَسَابِيعِ مَنْ بَدْءِ الْبُطولَةِ، وَتَشْتَرِكُ السُّفُنُ وَالطَّائِرَاتُ فِي نَقْلِ الشُّعْلَةِ عَبْرَ الجِبَالِ وَالْبِحارِ، ثُمَّ يَقومُ آخِرُ الْعَدَّائِينَ بِحَمْلِ الشُّعْلَةِ إِلَى دَاخِلِ الْمَلْعَبِ وَإِشْعَالِ الشُّعْلَةِ الأولمبية، وَتَبْقَى الشُّعْلَةُ مُشْتَعِلَةً حَتَّى نِهَايَةِ الْمُسَابَقَةِ. وَمِنَ الْمُلَاحَظِ أَنَّ شَعَائِرَ هَذِهِ الْأَلْعَابِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ تُشْبِهُ كثيرًا الشَّعَائِرَ وَالطُّقُوسَ الْقَدِيمَةَ.[30]

30- أعياد الكفار وموقف المسلم منها، إبراهيم بن محمد الحقيل، إصدار مجلة "البيان"، ص24-31.

عِيد فالِنتايْن!

وَمِن العَادَاتِ "عِيدُ الحُبِّ"، الَّذِي يَرْجِعُ تاريخُهُ إِلى الرّومانِ الوَثَنِيّينَ الذِينَ احْتَفَلُوا فِي مُنْتَصَفِ شَهْرِ شُبَاط بِشَعائِرِ عِيدِ الخِصْبِ، حيثُ يُقْطَعُ رَأْسُ أَحَدِ المحْتَفِلِينَ قُرباناً لِلْآلِهَةِ. فَقَدِ اعْتادَ الرُّومانُ حَتَّى القَرْنِ الرّابِع إِجْراءَ شَعائِرِ انْتِقالِ شابٍّ إلى الإلهِ لُوبرْكُوسْ "التَّضْحِيَةِ"، وَأَنْ يَضَعُوا أَسْماءَ الفَتَياتِ المرَاهِقَاتِ فِي صُنْدوقٍ يَسحَبُ منهُ الرِّجالُ البالِغونَ اسمًا بِشَكْلٍ عَشْوائيٍّ، وَيَقُومُ كُلٌّ مِنْهُمْ بِاخْتِيَارِ رَفيقَةٍ لِيَقْضِيَ مَعَهَا تَسْلِيَتَهُ طِيلَةَ السَّنَةِ المقْبِلَةِ، وَيَتَكَرَّرُ الأَمْرُ كُلَّ سَنَةٍ! وَحاوَلَتِ الكَنيسَةُ مَنْعَهُمْ مِنْ هَذِهِ العادَةِ فَأَوْجَدَت بَديلاً وهُوَ أَنْ يَخْتَارُوا قِدّيسًا يَأْخُذُ أُلوهيَّةَ لُوبرْكُوس الوَثَنِيَّةِ. فَقَامَ البَابَا جِيلَاسْيُوسْ سَنَةَ 496م بِإِلْغَاءِ مَهْرَجاناتِ عِيدِ الخِصْبِ لَكِنَّهُ سَمَحَ بِاسْتِمْرارِ لُعْبَةِ الحَظِّ بَعْدَ تَعْديلِها، بِحَيْثُ وَضَعُوا أَسْماءَ القِدّيسِينَ بَدَلَ أَسْماءِ الفَتَياتِ، وَسُمِحَ لِكُلِّ رَجُلٍ وَلِكُلِّ امْرَأَةٍ أَنْ يَسْحَبَ اسْمَ قَديسٍ مِنَ الصُّنْدوقِ وَمِن ثَمَّ يُحَاوِلُ تَطْبيق شَيْءٍ مِنْ صِفاتِ القِدّيسِ الَّذِي سَحَبَ اسْمَهُ. وَكَانَ أَحَدُ هَؤُلَاءِ القِدّيسِينَ الأَسْقُفُ "فالِنْتَايْن" الذِي قُتِلَ قَبْلَ نَحْوِ مِائَتَيْ عَامٍ مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ. فَمَن هوَ فالِنْتَايْن وَمَا هِيَ قِصَّتُهُ؟

فِي سَنَةِ 270م أَصْدَرَ الإمْبراطورُ كُلودْيوسْ الْحَادِيَ عَشَرَ قَرَارًا أَلْغَى فِيه الزَّوَاجَ، مُعْتَقِدًا أَنَّ المتَزَوِّجِينَ يُشَكِّلُونَ جَيْشًا غَيْرَ قَوِيٍّ لِأَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ الذَّهابَ لِلْحَرْبِ والوُقوعَ فِي الأَسْرِ. جَمَعَ الأَسْقُفِ فالِنْتَايْن بَيْنَ الشَّبابِ المتَحابّينِ وَزَوَّجَهُمْ، فَغَضِبَ الإمْبراطورُ وَقَطَعَ رَأْسَ فالِنْتَايْن فِي 14 شُبَاط سَنَةَ 270م. وَبَعْدَ مِائَتَ،يْ سَنَةٍ، عِنْدَمَا تَمَّ اسْتِبْدالُ مَهْرَجانِ عِيدِ الخِصْبِ بِلُعْبَةِ الحَظِّ الَّتي ذَكَرْتُها، أَصْبَحَ اسْمُ القِدّيسِ فالِنْتَايْن الشَّفيعَ الرّوحيّ لِكُلِّ المتَزَوِّجِينَ[31]. أَمَّا اليَوْمَ فَهُوَ عِيدُ العُشّاقِ وَالفُسَّاقُ، فَهَلْ عَرَفْنَا مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا الْعِيدُ؟!.[32]

31- "قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء"، تأليف تشارلز باناتي، ترجمة مروان مسلوب، إصدار الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع (الخُبر، السعودية)، ودار الخيّال (بيروت، لبنان)، الطبعة الأولى 2003، ص63-65.

32- هناك أساطير أخرى مختلفة حول هذا العيد. أنظر مثلا: عيد الحب قصته، شعائره، وحكمه، إبراهيم بن محمد الحقيل http://www.saaid.net/mktarat/7oob/1.htm

عِيدُ الأُمّ!

يَعودُ أَصْلُ الْعِيدِ إِلَى الإغْرِيقِ، الذِينَ احْتَفَلُوا بِعيدِ "ريئا" أُمّ الآلِهَةِ. وَمَعَ انْتِشارِ النَّصْرانيَّةِ احْتَفَلُوا بيَوْمِ أُمّ الكَنيسَةِ، ثُمَّ امْتَزَجَ هذانِ اليَوْمَانِ لِيَكُونَا «يَوْمَ الأُمِّ». وَفِي سَنَةِ 1600م كَانُوا فِي بَرِيطَانْيَا يَحْتَفِلُونَ بِهِ أَيّامَ الأَحَدِ.

أَمَّا عِيدُ الأُمِ بِشَكْلِهِ الحاليّ الذِي نَعْرِفُهُ اليَوْمَ، فَقَدْ بَدَأَ قَبْلَ نَحْوِ مِائَةِ سَنَةٍ، عِنْدَمَا وَجَدَتِ الفَتاةُ الأَمْريكيَّةُ آنَا جَارْفِيسْ أَنَّ الأَبْناءَ عِنْدَمَا يَكْبُرونَ غَالِبًا مَا يَنْسَوْنَ أُمَّهَاتِهِمْ بِسَبَبِ الانْشِغالِ فِي الحَياةِ اليَوْميَّةِ. بَعْدَ وَفاةِ والِدِها وَوالِدَتِها، أَقَامَتْ سَنَةَ 1907م احْتِفالًا فِي ذِكْرَى والِدِها الذِي يُصَادِفُ يَوْمَ الأَحَدِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ أَيَّارَ. دَعَتْ مَعارِفَها وَاحْتَفَلَتْ بِعيدِ الأُمِّ، وَنَشَرَتِ الفِكْرَةَ بَيْنَهُمْ. وَفِي سَنَةِ 1908م كَتَبَتْ لإِحْدَى الكَنَائِسِ فِي مَدينَةِ جرافتَاونَ حَيْثُ كَانَتْ والِدَتُها تُعَلِّمُ هُنَاكَ لِمُدَّةِ 20 سَنَةً، وَاقْتَرَحَتْ أَنْ تَكونَ الكَنيسَةُ هِيَ المركز المِثاليّ لِلاحْتِفَالِ بِالْعِيدِ. وَبِالْفِعْلِ، أُقيمَ أَوَّلُ قُدَّاسٍ لِعِيدِ الأُمّ فِي العاشِرِ مِنْ أَيَّارَ سَنَةَ 1908م فِي الكَنيسَةِ، وَأَهْدَتِ الآنِسَةُ آنَا جَارْفِيسْ لِكُلِّ أُمّ زَهْرَةَ قُرُنفُل لِأَنَّهَا كَانَتِ الزَّهْرَةَ المفَضَّلَةَ عِنْدَ أُمّها. وَانْتَشَرَتِ الفِكْرَةُ فِي الوِلاياتِ المتَّحِدَةِ الأَمْريكيَّةِ، وَقَامَ الرَّئيسُ الأَمْريكيُّ سَنَةَ 1914م بِتَحْدِيدِ مَوْعِدِ عِيدِ الأُمّ لِيَكُونَ ثَانِيَ يَوْمِ أَحَدٍ مِنْ أَيَّارَ كُلَّ سَنَةٍ.[33]

وَيَخْتَلِفُ مَوْعِدُ هَذَا الْعِيدِ بِاخْتِلَافِ الدّوَلِ، حَيْثُ تَحْتَفِلُ فِيه أَرْمِينْيَا مَثَلًا فِي السّابِعِ مِنْ نيسَان، وَتَحْتَفِلُ بِهِ المكْسيكُ فِي العاشِرِ مِنْ أَيَّارَ، وَهُنَاكَ دوَلٌ مِثْلُ فَرَنْسَا والسّويدِ تَحْتَفِلُ بِهِ فِي آخِرِ يَوْمِ أَحَدٍ مِنْ شَهْرِ أَيَّارَ. كَمَا أَنَّ قِصَّةَ عِيدِ الأُمّ تَخْتَلِفُ مِنْ دَوْلَةٍ لِأُخْرَى، وَبَعْضُها تُسَمّيهِ عِيدَ الأُسْرَةِ. أَمَّا فِي مُعْظَمِ العالَمِ العَرَبِيّ فَيَتِمُّ الاحْتِفالُ بِعيدِ الأُمّ فِي الْحَادِي وَالعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ آذار، وَيَعُودُ ذَلِكَ

33- "قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء"، تأليف تشارلز باناتي، ترجمة مروان مسلوب، إصدار الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع (الخُبر، السعودية)، ودار الخيّال (بيروت، لبنان)، الطبعة الأولى 2003، ص70-72.

لِفِكْرَةٍ اقْتَرَحَهَا الصُّحُفِيُّ المِصْرِيُّ عَليّ أَمين فِي جَريدَةِ «الْأَخْبارِ» الَّتِي كَانَتْ وَلَا تَزَالُ تَصْدُرُ عَنْ دَارِ «أَخْبارِ اليَوْمِ» المِصْرِيَّةِ كَاتِبًا: "لِمَاذَا لَا نَتَّفِقُ عَلَى يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ السَّنَةِ نُطْلِقُ عَلَيْهُ "يَوْمَ الأُمّ" وَنجعَلَهُ عِيدًا قَوْمِيًّا فِي بِلادِنا، بِلادِ الشَّرْقِ"؟ ثُمَّ عَادَ فِي مَقالٍ آخَرَ وَاقْتَرَحَ: "مَا رَأْيُكُمْ أَنْ يَكونَ هَذَا الْعِيدُ يَوْمَ 21 آذَارَ، إِنَّهُ اليَوْمُ الذِي يَبْدَأُ بِهِ الرَّبِيعُ وَتَتَفَتَّحُ فِيه الزُّهورُ وَتَتَفَتَّحُ فِيه القُلوبُ"؟ وَهَكَذَا بَدَأَ الاحْتِفالُ بِهِ فِي مِصْرَ ثُمَّ سُورِيَا ثُمَّ مُعْظَمِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ.[34]

تَسْمِيَةُ الأَطْفالِ بِأَسْماءِ الكُفّارِ

"وَمِمَّا رَاجَ بَيْنَ المسْلِمِينَ التَّشَبُّهُ بِالكُفّارِ فِي أَسْمَائِهِمْ فَتَجِدُ اسْمَ الجَدَّةِ خَديجَة أَوْ حَفْصَةً أَوْ صَفيَّةَ أَوْ حصَّةً، واسْمُ الحَفِيدَةِ ديانا أَوْ رَامَا أَو ليِنْدا أَوْ دَالِيدَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ عَرَبِيًّا أَصْلًا... مَعَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيَّرَ مَا هوَ دُونَ ذَلِكَ، كَمَا غَيَّرَ مَنِ اسْمُهُ حَزْنٌ إِلَى سَهْلٍ، وَمَنِ اسْمُها عاصِيَةٌ إِلَى جَميلَةٍ، وَغَيَّرَ مَنِ اسْمُهُ الحُبابُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ . وَأَمَرَ بِتَغْييرِ كُلِّ مَا عُبِّدَ لِغَيْرِ اللَّهِ مِثْلَ: عَبْدِ الْعُزَّى، وَعَبْدِ شَمْسٍ، وَعَبْدِ المسيحِ، وَمِثْلُهُ فِي هَذِهِ الأَيّامِ عَبْدِ النَّبِيّ، وَعَبْدِ الحُسَيْنِ، وَعَبْدِ الأَميرِ، وَعَبْدِ الرِّضَا، وَعَبْدِ الزَّهْراءِ، إِلَخ. وَأَرْشَدَ صَلَواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إِلَى أَنَّ أَفْضَلَ الأَسْماءِ هوَ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَصْدَقَها حارِثٌ وَهَمّامٌ، وَإِلَى أَلّا يُسَمّيَ المسْلِمُ فَتَاه أَفْلَحَ وَيَسارٌ، وَأَلّا يَتَسَمَّى أَحَدُنا بِاسْمٍ فِيه تَزْكِيَةٌ لِلنَّفْسِ مِثْلَ "بَرَّةٍ"، وَأَخْبَرَنا أَنَّ الحُبابَ اسْمُ شَيْطانٍ.[35]

34- عيد الأم، في موقع معرفة: https://www.marefa.org

35- المسلمون والحضارة الغربية، د. سفر الحوالي. ص738-739.

وَلَمّا جَاءَهُ أَحَدُ العَرَبِ وَكَانَ اسْمُهُ أَبَا الحَكَمِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الحَكَمُ، وَلَكِنْ مَا اسْمُ أَكْبَرِ أَبْنائِكَ؟ قَالَ: شُرَيْحٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ**»! وَيَنْبَغِي التَّسَمّي بِأَسْماءِ الأَنْبياءِ ثُمَّ الصَّحابَةِ والْقادَةِ والعُلَماءِ مِثْلِ: نُوحٍ وَإِبْراهيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، أَوْ عَبْدِ اللَّهِ، وَعُمَر، وَعُثْمان، وَعَليّ، وَعَبْد الرَّحْمَنِ وَخالِد وَسَعْدٍ وَعَمْرو وَحُذَيْفَة. وَخَيْرُ أَسْماءِ النِّساءِ أَسْماءُ أُمَّهاتِ المؤْمِنِينَ، مِثْل خَديجَة وَعائِشَة وَمَيْمونَة وَحَفْصَةٍ وَجوَيْريَة وَصَفيَّة. وَبَناتِ النَّبيّ النِّساءِ والأُمَّهاتِ الشَّريفَات، مِثْلَ آمِنَةٍ وَحَليمَة وسَعْديَّة، وَآسِيَة، وَسارَّة، وَنسيبَة. وَيَجُوزُ التَّسَمّي بِالْأَسْمَاءِ الأَصيلَةِ مِثْلَ: لَيْلَى وَسَلْمَى وَمَيّ، وَسُعْدَى وَعَزَّة، وَحصَّة، وَصالِحَة، وَحَمْدَة، فَللاسِمِ أَثَرٌ فِي المسَمَّى وَدَلالَةٌ عَلَى عَقيدَةِ المسمّي. وَلَا يَجُوزُ التَّشَبُّهُ بِأَسْماءِ الكافِراتِ مِثْلَ ديانا أَوْ مَادْلِين أَوْ إِلِيزَابِيثْ أَوْ مَادُونَا وَأَمْثالِ ذَلِكَ".[36]

وَمَا دُمْنا نَتَكَلَّمُ عَنِ الأَسْماءِ، فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقَعُ فيهِ نِساءُ اليَوْمَ مِنْ تَقْليدٍ لِلْغَرْبِ، حَيْثُ يَتَسَمَّينَ بَعْدَ الزَّواجِ بِأَسْماءِ عائِلاتِ أَزْواجِهِنَّ. وَهُنَا يَتَجَلَّى الفَرْقُ بَيْنَ ثَقافَتِنا الإِسْلاميَّةِ وَبَيْنَ ثَقافَةِ الغَرْبِ، حَيْثُ أَنَّ "مَا تَرَاه الثَّقافَةُ الغَرْبيَّةُ مِنْ انْتِسابِ المرْأَةِ لِاسْمِ زَوْجِها وَعائِلَتِهِ هُوِيَّةً وَعَدْلًا، تَرَاهُ الثَّقافَةُ الإِسْلاميَّةُ غِيَابَ نَسَبٍ، وَتَغْييبًا لِشَخْصيَّتِها وَهُويَّتِها، وَسَلْبًا لِحَقّ المرْأَةِ فِي انْتِسابِها لِأَبِيهَا وَعائِلَتِها. لِذَلِكَ شَرْعُ اللَّهُ كَانَ أَعْدَل ﴿**ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ**﴾[37]".[38]

36- المسلمون والحضارة الغربية، د. سفر الحوالي. ص738-739.

37- سورة الأحزاب، الآية 5.

38- النِّسويَّة وصِناعةُ الدَّهشة، فهد الغفيلي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، 1440هـ/ 2019م، ص13-14.

النِّساءُ يَلبِسنَ البِنْطال

يَعْتَقِدُ بَعْضُ النّاسِ أَنَّ لِبسَ الْبِنْطَالِ مِنْ قِبَلِ الفَتَياتِ والنِّساءِ أَمْرٌ طَبيعيٌّ، وَكَأَنَّهُ أَمْرٌ مَحْسومٌ مُنْذُ القِدَمِ، فَهَلْ هوَ كَذَلِكَ؟ حَتَّى سَنَةَ 1909م كَانَ الْقَانُونُ الفَرَنْسيُّ يَمْنَعُ النِّساءَ مِنْ لِبْسِ الْبِنْطَالِ. وَحَتَّى بِدايَةِ القَرْنِ العِشْرِينَ كَانَتِ النِّساءُ يَرْكَبنَ عَلَى الخَيْلِ بَيْنَمَا أَرْجُلُهُنَّ تَتَدَلَّى مِنْ جِهَةٍ واحِدَةٍ. وَرَغْمَ أَنَّ بَعْضَ النِّساءِ حاوَلْن فِي مَطْلَعِ القَرْنِ التّاسِعَ عَشَرَ لِبْسِ الْبنْطَالِ إِلَّا أَنَّ هَذَا الأَمْرَ كَانَ مُسْتَهْجَنًا فِي أُورُوبَّا وَأَمْرِيكا. وَعِنْدَمَا قَرَّرَتْ إِحْدَى النِّساءِ (رُوْزَة بونَرْ 1822 - 1899م) أَنْ تَقُصَّ شَعْرَها وَتلْبس بَدْلَةً رِجاليَّةً مَعَ بِنطَالٍ جُوبِهَتْ بِاسْتِهْجانٍ وَرَفْضٍ، وَكَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَحْصُلَ عَلَى تَصْريحٍ مِنَ الشُّرْطَةِ الفَرَنْسيَّةِ حَتَّى لَا يُضايِقَها أَحَدٌ فِي الشّارِعِ، بَلْ كَانَ عَلَيْهَا أَنَّ تُجَدِّدَ هَذَا التَّرْخيصَ كُلَّ سِتَّةِ أَشْهُرٍ.

وَفِي الحَرْبِ العالَمِيَّةِ الأُولَى والثّانيَةِ، اضْطُرَّتِ النِّساءُ الأُوروبِّيّاتُ لِلْقِيَامِ بِأَعْمالِ الرِّجالِ الذِينَ خَرَجُوا لِجَبْهَةِ القِتالِ، فَعَمِلنَ فِي المَصانِعِ وَشَتَّى الأَعْمالِ، وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْهِنَّ الْقِيَامَ بِذَلِكَ بِالْفَسَاتِين فَلَبِسنَ البَنَاطِيل عَلَى اعْتِبارِ أَنَّ البِنْطالَ يُساعِدُ فِي أَداءِ هَذِهِ المَهامِّ، لَكِنَّهُ رغمَ ذلِكَ لَمْ يَتَحَوَّلْ إِلَى مَلابِسَ نِسائيَّةٍ تَلْبسها النِّساءُ فِي كُلِّ مُناسَبَةٍ. وَفِي تل-أَبيب، فِي مَجَلَّةِ "لإِيشَاةْ - للمَرْأَة" العِبْريَّةِ الصّادِرَةِ سَنَةَ 1959م كَتَبَتْ إِحْدَى الكاتِباتِ تَنْصَحُ النِّساءَ قَائِلَةً إِنَّهُ يُمْكِنُكَ أَنْ تَلْبِسي الْبِنْطَالَ فِي الشّارِعِ القَرِيبِ وَلَكِنْ لَا تَبْتَعِدي أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مِتْرٍ عَنْ بَيْتِكَ. وَفِي بَرِيطَانْيَا، كَانَتْ شَبَكَةُ البِي-بِي-سِي تَمْنَعُ المذيعاتِ مِنْ لِبسِ الْبِنْطَالِ، وَقَدْ نَشبَ جَدَلٌ كَبيرٌ سَنَةَ 1969م حَوْلَ الْمَوْضوعِ عِنْدَمَا أُجْبِرَتْ إِحْدَى المذيعاتِ قَبْلَ البَثِّ عَلَى تَغْييرِ الْبنْطَالِ بِفُسْتانٍ نِسائِيٍّ قَصيرٍ. وَهَكَذَا، وَبِسَبَبِ عَوامِلَ كَثيرَةٍ مِنْ بَيْنِها دَوْرُ التَّنْظِيمَاتِ النِّسْويَّةِ، وَالمُصَمِّمينَ، وَتُجّارِ الأَلْبِسَةِ، وَالمَمَثِّلينَ فِي السّينَما والتِّلِفِزْيونِ وَغَيْرِهِمْ، انْتَشَرُ البِنْطَالُ فِي سَنَوَاتِ السَّبْعِينَ وَالثمانينَ مِنْ

القَرْنِ العِشْرِينَ، وَانْتَشَرَ بِالذَّاتِ بِنطَالُ الْجِيْنز.[39] هَذَا مُخْتَصَرٌ لِمَوْضُوعِ البَنْطَالِ لَدى غَيرِ المسلِمينَ، والذِي كَانَ بِشَكْلٍ عامٍّ بنْطَالًا وَاسِعًا فَضْفاضًا، وليسَ ضَيّقًا يَصِفُ مَفاتِنَ الجَسَد. وعندما انتشرَ البِنطالِ في الغَربِ والشَّرقِ انتشرَ بينَ المسلمات اللاتي يُقلِّدنَ الموضَة المستَورَدَة!

ولَستُ هُنا بِصَدَدِ التَّذكيرِ بِحُكمِ الإِسْلامِ فِيه، وَالَّذِي كَمَا هوَ مَعْروفٌ يَفْرِضُ الحِجابَ الفَضْفاضَ الواسِعَ عَلَى النِّساءِ. لَكِنَّ مَا أُريدُ التَّأْكيدَ عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ مَا نَرَاهُ اليَوْمَ "عَادِيًّا" لَيْسَ أَمْرًا مُقَدَّسًا بَدَأَ مُنْذُ آلافِ السِّنِينَ، بَلْ هوَ نَتاجُ السَّنَوَاتِ الأَخيرَةِ، وَنَتاجُ أَحْداثٍ وَصِراعاتٍ وَمُوضَاتٍ جَاءَتْ مِنَ الغَرْبِ، وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا أَيُّ دَوْرٍ، سِوَى أَنَّ المسْلِماتِ أَصْبَحْنَ يُقَلِّدْنَ الاجْنَبِيَّاتِ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِراعًا بِذِراعٍ، تمامًا كقولِ الشّاعرةِ:

"ما إِنْ بُيوتُ الغَرْبِ تُطْلِقُ صَيْحَةً... إِلَّا وَبِنْتُ المسْلِمِينَ وَراها!"[40]

قَالَ أَحَدُ عُلَماءِ الهِنْدِ:

«لَوْ جَاءَتِ الحَضارَةُ مِنْ إِفْرِيقية لَصَبَغَ النّاسُ وُجوهَهُمْ بِالسَّوَادِ وَضَخَّموا شِفاهَهُمْ»

د. سفر الحوالي

39- يُراجع مقال "من يلبس البنطال؟" للكاتبة إيلا راز، مجلة "+Tav"، العدد 3، سنة 2004، ص67 - 74.

40- بيتُ شِعرٍ من قصيدةٍ للشاعرة ليلى العصفور.

التَّقلِيدُ الأَعْمَى!

مِنَ الآفاتِ التي يجبُ أَنْ نحذَرَ مِنها آفَةُ التَّقليدِ الأَعْمى. وَهُناكَ نوعانِ أَودُّ الإشارَةَ إليهما، الأَوَّلُ تَقليدُ الكُفّارِ في الشَّرقِ والغَربِ في كُلّ ما يَصْدُرُ مِنهُم من أَفكارٍ وعاداتٍ وَسُلوكِيّات. أَمّا الثّاني، فَتقليدٌ للمُسلمينَ الآخَرينَ الذين يَعيشونَ مَعَنا، وسوفَ أُوضّحُ هذينِ الأَمْرَين.

مِن جُحرِ الضَّبّ

مِن مَظاهِرِ التَّقليدِ الأَوَّل، تَقليدُ الكُفّار في كُلّ ما يُنتِجونَهُ مِن مُعتَقَداتٍ وَسُلوكِيّاتٍ وَعادات. وَمِثالُ ذلِكَ تَقليدُهُم في ارتداءِ البَناطيلِ المَزَّقَة، والملابِس النِسائِيَّة غَيرِ المحتَشِمَة، والاختِلاطِ بينَ الجِنسَينِ في المدارِسِ وَفي سائِرِ المناسَبات. وقد تجدُ بَعضَ الشَّبابِ يُقلّدونَ لاعِبَ كُرةٍ كافِرٍ في قَصّة شَعرِه، أَو في إطلاقِ ذِقنِه، وتجدُ مِن بناتِ المسلمينَ مَن تُقلِّدُ كافِرةً في الملابِسِ الَّتِي تَرتَدِيها. وقَد أَصبحَ الكُفّارُ والمنحَرِفونَ قُدوَةً للمُسلمينَ في كُلِّ ما يُنتِجونَه، وَصارَ المهزومُونَ نَفسِيًّا يتّبعونهم شِبرًا بِشِبر، مُعجَبينَ بِهِم وبِثَقافَتِهِم، مُعتَقِدينَ أَنَّ مَا يَأْتي مِنْ الغَرْبِ هوَ الأَصْلَحُ. وَصارَ حالُ هَؤلاءِ يَنطَبِقُ عَلَيهِ قَولُ الرَّسولِ صَلّى اللهُ عليهِ وسَلَّم: **«لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبلَكُم شِبراً بِشِبر، وَذِراعاً بِذِراع، حَتى لَو سَلَكوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلكْتُموه»**.[41]

هذا الإِعجابُ بالثَّقافَةِ الغَربيّة لَهُ أَسبابٌ عَديدَة، مِن أَهَمِّها، كما يقولُ أ. د. جَعفر شيخ إدريس: "الاعتقادُ الباطِلُ بأَنَّهُ ما دامَ الغَربُ قَد تَقدَّم اقتِصادِيًّا وَعَسكريًا فَلا بُدَّ أَن يَكونَ كُلُّ شَيءٍ في ثقافَتِهِ من أَسبابِ ذلكَ التَّقَدُّم... كَمثَلِ شابٍّ يُعجَبُ برجُلٍ عَدّاءٍ ويُريدُ أَنْ يَكونَ مِثلَهُ في شِدَّة عَدْوِه، فيَذْهَبُ وَيَشْتري ثِيابًا مِثلَ ثِيابِه"، وكذلِكَ الاعتقادُ بِأَنَّ "مَن كانَ أَكثرَ مالًا ونِعمَةً فَهُوَ أَصحُّ مَذْهَبًا ممَّن

41- من حديثٍ نبويٍّ شريف. البخاري: 7320.

هُوَ أَفْقَرُ مِنهُم"، وكذلكَ "الاعتِقادُ بالباطِلِ -الذي يَنشُرُهُ الغَربيّون أَنفُسُهم- أَنَّ حَضارتَهم هِي حَضارَةُ العَصر؛ بمعنى أنها هِي وَحدَها المناسِبَةُ لِظُروفِنا المعاصِرَة، وَأَنَّ كُلَّ أُمّةٍ لا تَأخُذُ بها تكونُ مُتَخَلِّفَة، فهُمْ يخلطونَ بَينَ التَّحدِيث والتَّغرِيب".[42] وهذا التَّقْليدُ لِلْغَرْبِ يَدُلُّ عَلَى ذَوَبانِ شَخصِيَّةِ المقلِّد الذي "يُلغي وُجودَهُ بتقليدِه لِغَيرِه، ويَقضي عَلى كَيانِه، ويُغمضُ عَينيه ليرَى بِعيونِ الآخَرين، ويَصُمُّ أُذنَيهِ لِيَسمعَ بآذانِ مَن قلَّدَه، ويُوقِفُ حرَكةَ عقلِهِ وتفكيرِه لِيفكِّرَ بعقُولهم".[43] وهُو دَليلٌ أَيضًا على الشُّعورِ بِالْهَزِيمَةِ النَّفْسيَّةِ لَدى المقلِّدِ مثلَما قَالَ ابْنُ خلدونَ: "إِنَّ المغلُوبَ مولَعٌ بِتَقْلِيدِ الغالِبِ"[44]، وَقَالَ أَحَدُ عُلَماءِ الهِنْدِ: "لَوْ جَاءَتِ الحَضارَةُ مِنْ إِفْرِيقيا لَصبَغَ النّاسُ وُجوهَهُمْ بِالسَّوَادِ وَضَخَّموا شِفاهَهُمْ"[45].

وَلِهَذَا عَلَيْنَا، إذا أَرَدْنا أَن نَكونَ أَعِزَّاءَ، أَنْ نَطْرَحَ جَانِبًا الشُّعورَ بِالنَّقْصِ وَبِالعَجْزِ، وَأَنْ نَسْتَبْدِلَهُ بِشُعورِ العِزَّةِ والاِسْتِعْلاءِ عَلَى الكَافِرِينَ، إِلَى أَنْ يَزولَ ضَعْفُ المسْلِمِينَ عَلَى أَرْضِ الواقِعِ. وَأَهَمُّ مَا فِي الأَمْرِ أَلّا نَفْقِدَ الإِحْساسَ بِالْفَرْقِ بَيْنَ مَا هوَ إِسْلاميٌّ وَمَا هوَ غَرْبِيٌّ، لِأَنَّ "فُقْدانَ هَذَا الإِحْساسِ هوَ النَّذيرُ بِالْخَطَرِ، لِأَنَّهُ يَعْنِي فُقْدانَ الإِحْساسِ بِالذَّاتِ" مِثْلَمَا يَقُولُ د. مُحَمَّدُ حُسَيْنِ حُسَيْنٍ[46]، وَيُضِيفُ: "نُرِيدُ أَنْ يَظَلَّ هَذَا التَّمْيِيزُ بَيْنَ مَا هوَ إِسْلاميٌّ وَبَيْنَ مَا هوَ طَارِئٌ مُسْتَجْلَبٌ -شَرْقِيًّا كَانَ أَمْ غَرْبِيًّا- حَيًّا فِي نُفُوسِ الأَجْيالِ الصّاعِدَةِ وَالتَّالِيَة". هَذَا الشُّعورُ بِالتَّمايُزِ يَجِبُ أَنْ يُرافِقَنا دائِمًا وَأَنْ نَغْرِسُهُ فِي ذَواتِنا وَفِي أَنْفُسِ أَبْنَائِنَا وَبَناتِنا، لِأَنَّهُ "إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَحْفَظَ حَقيقَةَ الإِسْلامِ عَلَى أَنَّهَا عُنْصُرٌ ثَقافيٌّ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْتَرِسَ مِنْ الجَوِّ الفِكْرِيِّ لِلْمَدَنِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، ذَلِكَ الجَوِّ الذِي أَصْبَحَ عَلَى وَشْكِ أَنْ يَتَغَلَّبَ

42- صراع الحضارات بين عولمة غربيّة وبَعثٍ إسلاميّ، أ. د. جعفر شيخ إدريس، إصدار مجلة البيان، 1433هـ، الطبعة الأولى، ص230-231.

43- جُحر الضب يشكو الازدحام، سمر السيد، صحيفة "أضواء الوطن" الإلكترونية
https://www.adwaalwatan.com/articles/3291291

44- يقول ابن خلدون رحمه الله في مقدّمته "المغلوب مولعٌ أبداً بتقليد الغالب في شِعارِه وزيّه ونِحلته وسائر أحوالِه وعوائِده... والسبب في ذلك أن النفس تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه".

45- المسلمون والحضارة الغربية، د. سفر الحوالي، ص736.

46- كتاب "الإسلام والحضارة الغربية"، د. محمد محمد حسين، ص53.

عَلَى مُجْتَمَعِنا وَعَلَى مُيولِنا. وَبِتَقْليدِ عَادَاتِ الغَرْبِ وَزِيِّهِ فِي الحَياةِ يُصْبِحُ المسْلِمُونَ تَدْرِيجِيًّا مُضْطَرِّينَ إِلَى الأَخْذِ بِوُجْهَةِ اَلنَّظَرِ الغَرْبِيَّةِ".[47]

الإِمَّعَة

أَمّا النَّوعُ الثّانِي مِنَ التَّقليدِ فهُوَ اتِّباعُ التَّقاليدِ والعاداتِ الَّتِي يقومُ بها أَبناءُ المجتَمعِ المسلِم، حتى لَو لم تكُنْ لهذِهِ العاداتِ والسُّلوكيّاتِ أَيُّ مَرجِعِيّةٍ دِينِيَّة. وقَد نَبَّهَنا القرآنُ الكريمُ إِلى هذا الخَطَأ: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾[48]. وَقد رَدَّ اُللهُ عَلى الكُفّارِ هذا التَّقليدَ الأعمى في آياتٍ كَثيرة، كَقولِه: ﴿**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[49]. وَبَعْضُ النّاسِ يُقَلِّدونَ الآخَرِينَ وَيَحْتَجُّونَ بِأَنَّ "كُلَّ النّاسِ يَفْعَلُونَ هَذَا"، وَهَذَا خَطَأٌ كَبيرٌ، فاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿**قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ**﴾[50]. وكَثْرَةُ المخْطِئِينَ لَا تَجْعَلُ مِنْ الخَطَأِ صَوَابًا وَلا مِنَ الباطِلِ حَقًّا، كَمَا نَقَلَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَن أَحَدِ الصّالِحِينَ قَولَه: "عَلَيْكَ بِطَرِيقِ الحَقّ وَلَا تَسْتَوْحِش لِقِلَّةِ السَّالِكِين، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الباطِلِ وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الهَالِكِينَ"[51].

"وَحينَما يُقالُ: إِنَّ الشَّرِيعَةَ الإِسلامِيَّةَ تُربي في المسلمِ أَنْ يَكونَ شَخصِيَّةً تجمعُ بين تحقيقِ العُبودِيَّةِ واستِقلال الشَّخْصِيَّة؛ فهذا يَعني أَنَّ حُدودَ استِقلالِنا تَقِفُ عِندَ عَتَبَةِ العُبودِيَّة، وَلا تَتَجاوَزُ الأَحْكامَ الشَّرعِيَّة، وَإِنما نَبَّهتُ عَلى هذا مَع وُضوحِه؛ لأَنَّ بَعضَ النَّاسِ، خُصوصاً مِن الشَّبابِ وَالفَتَياتِ، يخلِطُ بينَ الأَمرين، وَيرَدِّد -دون وعيٍ- مُصطَلَحَ (الاستقلال في التَّفكير)، وَ(الحريّة في اتخاذ الرَّأي)!

47- الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد (ليوبولد فايس)، ترجمة د. عمر فروخ، الطبعة الثالثة، بيروت: دار العلم للملايين، ص73.

48- سورة الزخرف، الآية 22.

49- سورة البقرة، الآية 170.

50- سورة المائدة، الآية 100.

51- في كتابه: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

فيُقَلِّدُ ما يَشاءُ ومَن يَشاءُ بحجَّةِ الحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّة!! وَفي الأَثر: "لا تكونوا إِمَّعَة، تَقولون: إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِن ظَلموا ظَلَمْنا، ولكِن وَطِّنوا أَنْفُسَكُم؛ إِن أَحسَنَ النّاسُ أَن تُحسِنوا، وَإِن أَساءوا فَلا تَظلِموا". أَما التَّقليدُ الذي يَقِفُ عِندَ حُدودِ الشَّرْعِ، ويَتَّبِعُ أَوامِرَهُ ونَواهِيهِ، فَحيّهلاً بِه، وهُوَ التَّقليدُ على بَصيرَةٍ وَبَيِّنة، بَل هذا هُوَ واللهِ حَقِيقَةُ التَّعَبُّد، والسَّيرُ خَلفَ محمدٍ صَلّى اللهُ عليهِ وَسَلَّم ومَن تَبعَه"[52].

"وَالْإِمَّعَةُ هوَ مِنْ يَتْبَعُ مَا عَلَيْهِ النّاسُ بِلَا تَفَكُّر، أَمَّا العاقِلُ فِينْتَقِي وَيَخْتارُ، وَبَعضُ النّاسِ يَكونُ مُغْرَمًا بِأَمْرٍ فَلَا يَدَعُ مِنْهُ شَيْئًا، كَمَا تَجِدُ بَعْضَ المغْرَمِينَ بِالْقِرَاءَةِ، يَقْرَأُونَ كُلَّ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْديهم، وَبَعْضَ المتَّبِعِينَ لِلشَّهَوَاتِ، يَتَّبِعونَ كُلَّ شَهْوَةٍ فِي الشَّرْقِ أَوْ الغَرْبِ، وَبَعْضَ مُحِبّي الكُرَةِ والْمُصارَعَةِ يَحْفَظُونَ أَسْماءَ اللَّاعِبِينَ أَوْ المصَارِعِينَ، وَبَعْضَ المفْتُونِينَ بِالسِّيَاحَةِ وَالرِّحْلَاتِ تَذْهَبُ أَعْمارُهُمْ فِي ذَلِكَ وَهَكَذَا"[53].

إِنَّ مِن واجِبِنا أَنْ لا نُقَلِّدَ أَصحابَ المنكَرِ بَل أَنْ نَنصَحَهُم ونَقِفَ فِي وُجوهِهِم حتّى لا يَنتَشِرَ المنكَرُ في المجتَمَع، فَـ"إِنَّ المنْكَرَ إِذَا أُعْلِنَ فِي مُجْتَمَعٍ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَقِفُ فِي وَجْهِهِ؛ فَإِنَّ سوقَهُ تَقومُ، وَعودَهُ يَشْتَدُّ، وَسُلْطَتَهُ تَظْهَرُ، وَرواقَهُ يَمْتَدُّ، وَيُصْبِحُ دَلِيلًا عَلَى تَمَكُّنِ أَهْلِ المنْكَرِ وَقُوَّتِهِم، وَذَرِيعَةً لِاقْتِداءِ النّاسِ بِهِمْ، وَتَقْليدِهِمْ إِيَّاهم، وَمَا أَحْرَصَ أَهْلِ المنْكَرِ عَلَى ذَلِكَ! وَلِهَذَا تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلا، فَقَالَ: ﴿**إِنَّ الذينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشيعَ الفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا والْآخِرَةِ**﴾[54]. فَإِذَا قَلَّدَ بَعْضُ النّاسِ أَهْلَ المنْكَرِ وَالزَّيْغِ فِي مُنْكَرِهِمْ؛ أَخَذَ الباطِلُ فِي الظُّهورِ، وَهانَ خَطْبُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا فِي النُّفوسِ، وَسَكَتَ النّاسُ عَنْهُ، وَشُغِلوا بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَمَا تَزَالُ المنْكَراتُ تَفْشو، حَتَّى يَكْثُرَ الخَبَثُ، وَيَصيرَ

52- التقليد الأعمى، د. عمر بن عبد الله المقبل،
http://almuqbil.com/web/?action=articles_inner&show_id=1151

53- المسلمون والحضارة الغربية، د. سفر الحوالي، ص736.

54- سورة النّور، الآية 19.

أَمْرًا عَادِيًّا مُسْتَساغًا؛ تَألَفُهُ النُّفوسُ، وَتَتَرَبَّى عَلَيْهِ. وَيَنْحَسِرُ -بِالْمُقَابِلِ- المعْروفُ والْخَيْرُ، وَيُصْبِحُ هوَ المسْتَغْرَبُ"[55].

الِانْتِقاءُ وَلَيْسَ التَّقْليد

إِنَّهُ لَا مانِعَ مِنَ أَنْ نَسْتَوْرِدَ الأَدَواتِ والْآلاتِ المادّيَّةَ مِنَ الشَّرْقِ والْغَرْبِ إِنْ كَانَتْ فِيهَا مَنْفَعَةٌ[56]، فَتَبادُلُ الخِبْرَاتِ الإِنْسانيَّةِ فِي مَجالِ التِّقْنيّاتِ والْآلاتِ لَا بَأْسَ بِهِ[57]. أَمَّا اسْتيرادُ الأَفْكارِ والْقيَمِ والعاداتِ مِنَ الشَّرْقِ والْغَرْبِ فَلَا!! ذَلِكَ لِأَنَّ المفاهِيمَ والقيَمَ والْعاداتِ يَجِبُ أَنْ تَنْبُعَ مِنْ حَضارَتِنا وَعَقيدَتِنا وَتُراثِنا، فَمِنَ الْعَارِ أَنْ تَلْبِسَ ابْنَةُ المسْلِمينَ مَلابِسَ يُصَمِّمُها فاسِقٌ فِي بَارِيسْ! وَمَن الْعَارِ أَنْ يَقُصَّ ابْنُ المسْلِمينَ شَعْرَهُ تَقْلِيدًا لِلاعِبٍ لَاهٍ ماجِنٍ فِي إِسْبَانْيَا أَوِ البَرازيل! "وَنَحْنُ إِذَا احْتَجْنَا إِلَى الاِسْتِفادَةِ مِن خِبْرَةِ الغَرْبِ وَتَفَوُّقِهِ فِي الصِّناعاتِ الآليَّةِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبًا فِي مَجْدِهِ وَسيادَتِهِ، فَمِنَ المؤَكَّدِ أَنَّنَا فِي غَيْرِ حاجَةٍ إِلَى اسْتيرادِ قَواعِدِ السُّلوكِ والتَّرْبِيَةِ والأَخْلاقِ الَّتِي تَدُلُّ الأَماراتُ والْبَوادِرُ عَلَى أَنَّهَا سَتُؤَدّي إِلَى تَدْميرِ حَضارَتِهِ والْقَضاءِ عَلَيْهَا قَضاءً تَامًّا فِي القَريبِ العاجِلِ. إِنَّنا نَحْتَاجُ إِلَى مَوادِّ البِناءِ، لِأَنَّ لَدَيْنَا مِنَ عَوامِلِ الضَّعْفِ والْهَدْمِ مَا يَكْفِي"[58].

وَعَلَيْنَا أَلّا نَنْسَى أَنَّ "الاِقْتِباسَ مِنَ العُلُومِ والاِنْتِفاعَ مِنَ الوَسائِلِ الغَرْبيَّةِ والاِسْتِفَادَةَ مِنَ المَصْنوعاتِ لَيْسَتْ بِعَمَليَّةٍ غَريبَةٍ بَيْنَ الأُمَمِ، وَلَا تُحَرِّمُها شَريعَةٌ وَلَا يُشَكِّلُ ذَلِكَ مُشْكِلَةً أَوْ خَطَرًا، وَإِنَّمَا تَعيشُ الأُمَمُ بِالتَبادُلِ والتَّزامُلِ وَروحِ الأَخْذِ والْعَطاءِ، وَلَكِنَّ الخُضوعَ لِفِكْرٍ وَلِثَقافَةٍ وَعَقيدَةٍ، وَالانْسِلاخَ مِنَ الخَصائِصِ

55- د. سلمان بن فهد العودة، العقوبات والآثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/alsafinh/3.htm

56- هذا مع العلم أنّه من الأجدر أن تكون يد المسلمين هي العليا، هي التي تُنتج وتصنّع وتصدّر، تمامًا مثلما كان الأمر في عهود المسلمين الزاهرة، ويوم أن كان أبناء أوروبا يلتمسون العلم في جامعات الأندلس.

57- المخترعات والتقنيات ليست حياديّة بالضرورة، فالكثير من الاختراعات تختبىء من ورائها روحُ صانِعها وفلسفته، وبالتالي يجب استيرادها واستخدامها بحذر، بما يتماشى مع قِيم الإنسان المسلم.

58- "حصوننا مهددة من داخلها"، محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة. ص39.

الاِجْتِماعيَّةِ والذّاتيَّةِ، يُؤَدّي إِلَى ذَوَبانِ الشَّخْصيَّةِ، وانْهيارِ الكيَانِ الاِجْتِماعيِّ، وَيُبْعِدُ الأُمَمَ عَنِ التَّفْكيرِ فِي اسْتِعادَةِ مَجْدِها وَذاتيَّتِها"[59]. وَقَدِ انْفَتَحَتِ الحَضارَةُ الإِسْلاميَّةُ عَلَى كُلِّ الحَضَارَاتِ الَّتِي سَبَقَتْهَا أَوْ عَاصَرَتْهَا، "وَلَمْ يَكُنِ العَقْلُ الإِسْلاميُّ الجَديدُ بِالَّذي يَتَشَنَّجُ فِي دائِرَةِ الذّاتِ، ويَنْقَفِلُ عَلى حُدودِ الأَنَا"[60]، لَكِنَّ هَذَا الاِنْفِتاحَ عَلَى ثَقافَةِ الآخَرِ وَتُراثِهِ كَانَ انْتِقائِيًّا لَا يَأْخُذُ كُلَّ شَيْءٍ مِن المعْطياتِ الَّتِي تُوَفِّرُها الثَّقَافَاتُ الأُخْرَى، فَقَدْ كَانَ العَقْلُ الإِسْلامِيُّ "يَمْلِكُ فِي تَرْكيبِهِ الخاصِّ، وَمِن خِلالِ مَنْظورِهِ العَقَديِّ، المَقَايِيسَ الدَّقِيقَةَ والموازينِ العادِلَةَ الَّتِي يُمَرِّرُ مِنْ خِلالِها تِلْكَ المعْطَياتِ، فَيَعْرِفُ جَيِّدًا مَا يَأْخُذُ، وَيَعْرِفُ جَيِّدًا مَا يَدَعُ"[61].

وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ وَنَعيَ أَنَّ الشَّريعَةَ الإِسْلاميَّةَ مَنَعَتِ المسْلِمَ مِنْ مُشابَهَةِ الكُفّارِ وَتَقْليدِهِمْ فِيمَا هوَ مِنْ خَصائِصِهِمْ فِي العِبَادَاتِ والْعاداتِ والتَّقاليدِ وَالسُّلُوكِ وَالأَخْلَاقِ، لِأَنَّ المشابَهَةَ الظّاهِرَةَ تَقودُ إِلَى المشابَهَةِ فِي الباطِنِ. وَهَذَا التَّقْليدُ والتَّشَبُّهُ بِالكُفّارِ لَهُ خَطَرُهُ عَلَى هُويَّةِ المسْلِمِ، حَيْثُ أَنَّ "الشَّرْعَ أَمَرَ بِمُخالَفَةِ الكُفّارِ وَعَدَمِ التَّشَبُّهِ بِهِم"، وَلِأَنَّ "التَّشَبُّهَ بِالكُفّارِ وَتَقْليدَهِمْ لَا يَكونُ عادَةً إِلَّا بِسَبَبِ حُبِّهِمْ أَوْ تَعْظيمِهِمْ واسْتِحْسانِ أَحْوالِهِمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَمْنُوعٌ شَرْعًا"، وَلِأَنَّ "تَقْليدَ الكُفّارِ والتَّشَبُّهَ بِهِمْ يُؤَدّي إِلَى الذُّلِّ والْهَوانِ، فاللَّهُ أَعَزَّ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالْإِسْلَامِ فَإِنِ ابْتَغَتِ العِزَّةَ فِي غَيْرِهِ أَذَلَّهَا اللَّهُ"، وَلِأَنَّ "التَّشَبُّهَ بِالكُفّارِ نابِعٌ مِنَ الشُّعورِ بِالْهَزيمَةِ النَّفْسيَّةِ وَهِيَ أَخْطَرُ مِنْ الهَزيمَةِ العَسْكَريَّةِ، الَّتِي تُؤَدّي إِلَى التَّخاذُلِ والضَّعْفِ فِي مُواجَهَةِ الواقِعِ والرِّضَى بِالدّونِ، فَتَذُوبُ شَخْصيَّةُ الأُمَّةِ فِي شَخْصيَّةِ أَعْدَائِهَا"[62].

وَقَدْ حَذَّرَنا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنْ نُغَيِّرَ وَنُبَدِّلَ فِي الدّينِ بَعْدَهُ، وَأَخْبَرَنا أَنَّ المغَيّرينَ لَيْسُوا مِنْ أَتباعِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ. "وَمِن أَعْظَمِ مَظاهِرِ

59- "المسلمون تجاه الحضارة الغربية"، أبو الحسن علي الحسني الندوي، 1407هـ/ 1987م، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدّة، ص4.

60- د. عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، كتاب الأمة، قطر، 1403هـ، ص65-66.

61- د. عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، كتاب الأمة، قطر، 1403هـ، ص65-66.

62- التقليد والتشبه وخطرهما على هُوية الشباب المسلم، د. سلطان بن علي محمد شاهين، مجلة دراسات إسلامية، العدد 26، إصدار وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية. ص68-138.

التَّغْييرِ والتَّبْديلِ والتَّنكُّرِ لِدينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اتِّباعُ أَعْداءِ اللَّهِ تَعالَى فِي كُلِّ كَبيرَةٍ وَصَغيرَة، بِاسْمِ الرُّقيِّ والتَّقدُّمِ، وَالحَضارَةِ والتَّطَوُّرِ، وَتَحْتَ شِعاراتِ التَّعايُشِ السِّلْميِّ والأُخُوَّةِ الإِنْسانيَّةِ، والنِّظامِ العالَميِّ الجَديدِ والْعَوْلَمَةِ والْكَوْنيَّةِ، وَغَيْرِها مِنْ الشِّعاراتِ البَرَّاقَةِ الخادِعَةِ"[63].

وسأَخْتِمُ مُحَاضَرَتِي بِاقْتِباساتٍ مِنْ تَفْسيرِ سورَةِ «الكَافِرُونَ» لِسَيِّدِ قُطْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي تَفْسيرِهِ «فِي ظِلالِ القُرْآنِ». والمقْصُودُ هُنَا أَنْ يَعْرِفَ المسْلِمُونَ أَهَمِيّةَ التَّمايُزِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الكُفّارِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي جاهِلِيَّتِهِمْ، فِي عَصْرٍ طَغَتْ فِيه المادَّةُ وَانْتَكَسَتْ فِيه فِطْرَةُ الإِنْسانِ، وَاخْتَلَّتِ الموازِينُ. وَلَيْسَ المقْصودُ هُنَا بَتاتًا تَكْفيرُ المجْتَمَعِ الَّذِي نَعيشُ فِيه، وَلَا وَصْمُهُ بِأَنَّهُ «جاهِليٌّ»، فَهَذَا حَديثٌ شائِكٌ لَيْسَ هَذَا مَكانُهُ. بَلِ التَّأْكيدُ فَقَطْ عَلَى وَجْهِ المفاصَلَةِ والتَّمَيُّزِ الَّذي يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِهِ المسْلِمُ، وَشُعورِ الاسْتِعلاءِ الَّذي يَجِبُ أَنْ يَطْغَى عَلَى وُجْدانِهِ، وَالعِزَّةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا.

«إِنَّ التَّوْحيدَ مَنْهَجٌ، والشِّرْكُ مَنْهَجٌ آخَرُ.. وَلَا يَلْتَقِيَانِ.. التَّوْحيدُ مَنْهَجٌ يَتَّجِهُ بِالْإِنْسَانِ -مَعَ الوُجودِ كُلِّهِ- إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَريكَ لَهُ. وَيُحَدِّدُ الجِهَةَ الَّتي يَتَلَقَّى مِنْهَا الإِنْسانُ عَقيدَتَهُ وَشَريعَتَهُ، وَقِيَمَهُ وَمَوازِينَهُ، وَآدابَهُ وَأَخْلاقَهُ، وَتَصَوُّرَاتِهِ كُلَّها عَنِ الحَياةِ وَعَنِ الوُجودِ.»

سيد قطب



63- كتاب "أعياد الكفار وموقف المسلم منها"، إبراهيم بن محمد الحقيل، إصدار مجلة "البيان"، ص10.

لَكُمْ دِينُكُم وَلِيَ دِيْن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2)
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3)
وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5)
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)﴾

"لَمْ يَكُنِ العَرَبُ يَجْحَدُونَ اللَّهَ وَلَكِنْ كَانُوا لَا يَعْرِفُونَهُ بِحَقيقَتِهِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ. أَحَدٌ. صَمَدٌ. فَكَانُوا يُشْرِكُونَ بِهِ وَلَا يُقَدِّرُونَهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَا يَعْبُدُونَهُ حَقَّ عِبادَتِهِ. كَانُوا يُشْرِكُونَ بِهِ هَذِهِ الأَصْنام الَّتِي يَرْمُزونَ بِهَا إِلَى أَسْلافِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ أَوْ الْعُظَماءِ، أَوْ يَرْمُزونَ بِهَا إِلَى المَلائِكَةِ.. وَكَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ اللَّهِ، وَأَنَّ بَيْنَهُ -سُبْحَانَهُ- وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَبًا، أَوْ يَنْسَوْنَ هَذَا الرَّمْزَ وَيَعْبُدُونَ هَذِهِ الآلِهَةَ، وَفِي هَذِهِ الحالَةِ أَوْ تِلْكَ كَانُوا يَتَّخِذُونَهَا لِتُقَرِّبَهُمْ مِنْ اللَّهِ".

"وَلَقَدْ حَكَى القُرْآنُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتَسْخيرِهِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَإِنْزالِهِ الْمَاءَ مِنَ السَّماءِ"، "وَفِي أَيْمانِهِمْ كَانُوا يَقُولُونَ: وَاللَّهِ. وَتَاللَّهِ. وَفِي دُعائِهِمْ كَانُوا يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ.. إِلَخ. وَلَكِنَّهُمْ مَعَ إِيمانِهِمْ بِاللَّهِ كَانَ هَذَا الشِّرْكُ يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ تَصَوُّرَهُمْ كَمَا كَانَ يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ تَقاليدَهُمْ وَشَعائِرَهُمْ، فَيَجْعَلُونَ لِلْآلِهَةِ المدَّعاةِ نَصِيبًا فِي زَرْعِهِمْ وَأَنْعامِهِمْ وَنَصيبًا فِي أَوْلادِهِمْ، حَتَّى لَيَقْتَضِيَ هَذَا النَّصيبُ أَحْيَانًا التَّضْحيَةَ بِأَبْنائِهِمْ".

"وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِ إِبْراهيمَ، وَأَنَّهُمْ أَهْدَى مِنْ أَهْلِ الكِتابِ، الذِينَ كَانُوا يَعِيشُونَ مَعَهُمْ فِي الجَزيرَةِ العَرَبِيَّةِ، لِأَنَّ اليَهودَ كَانُوا يَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ. وَالنَّصَارَى كَانُوا يَقُولُونَ: عِيسَى ابْنُ اللَّهِ. بَيْنَمَا هُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ المَلائِكَةَ

وَالجِنَّ عَلَى اعْتِبارِ قَرابَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ -بِزَعْمِهِمْ- فَكَانُوا يَعُدّونَ أَنْفُسَهُمْ أَهْدَى، لِأَنَّ نِسْبَةَ المَلائِكَةِ إِلَى اللَّهِ وَنِسْبَةَ الجِنِّ كَذَلِكَ أَقْرَبُ مِنْ نِسْبَةِ عُزَيْرٍ وَعِيسَى.. وَكُلُّهُ شِرْكٌ. وَلَيْسَ فِي الشِّرْكِ خَيَارٌ. وَلَكِنَّهُمْ هُمْ كَانُوا يَحْسَبونَ أَنْفُسَهُمْ أَهْدَى وَأَقْوَمَ طَرِيقًا!

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: إِنَّ دينَهُ هوَ دِينُ إِبْراهيمَ -عَلَيْهِ السَّلامُ- قَالُوا: نَحْنُ عَلَى دِينِ إِبْراهيمَ، فَمَا حاجَتُنا إِذَنْ إِلَى تَرْكِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ واتِّباعِ مُحَمَّدٍ؟! وَفِي الوَقْتِ ذاتِهِ رَاحُوا يُحَاوِلُونَ مَعَ الرَّسولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خُطَّةً وَسَطًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَسْجُدَ لِآلِهَتِهِمْ مُقابِلَ أَنْ يَسْجُدُوا هُمْ لِإِلَهِهِ! وَأَنْ يَسْكُتَ عَنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَعِبادَتِهِمْ، وَلَهُ فِيهِم وَعَلَيْهِمْ مَا يَشْتَرِطُ! وَلَعَلَّ اخْتِلاطَ تَصَوُّراتِهِمْ، وَاعْتِرافَهُمْ بِاللَّهِ مَعَ عِبادَةِ آلِهَةٍ أُخْرَى مَعَهُ.. لَعَلَّ هَذَا كَانَ يُشْعِرُهُمْ أَنَّ المَسافَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ قَرِيبَةٌ، يُمْكِنُ التَّفاهُمُ عَلَيْهَا، بِقِسْمَةِ البَلَدِ بَلَدَيْنِ، وَالِالْتِقاءِ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ، مَعَ بَعْضِ التَّرْضِيَاتِ الشَّخْصِيَّةِ!

وَلِحَسْمِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ، وَقَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى المحاوَلَةِ، والمفاصَلَةِ الحاسِمَةِ بَيْنَ عِبادَةٍ وَعِبادَةٍ، وَمَنْهَجٍ وَمَنْهَجٍ، وَتَصَوُّرٍ وَتصَوُّرٍ، وَطَرِيقٍ وَطَرِيقٍ.. نَزَلَتْ هَذِهِ السّورَةُ. بِهَذَا الجَزْمِ. وَبِهَذَا التَّوْكِيدِ. وَبِهَذَا التَّكْرارِ. لِتُنْهِيَ كُلَّ قَوْلٍ، وَتَقْطَعَ كُلَّ مُساوَمَةٍ وَتُفَرِّقَ نِهَائِيًّا بَيْنَ التَّوْحيدِ والشِّرْكِ، وَتُقيمَ المعَالِمَ واضِحَةً، لَا تَقْبَلُ المساوَمَةَ والجَدَلَ فِي قَليلٍ وَلَا كَثيرٍ".

"وَلَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ المفاصَلَةُ ضَرورِيَّةً لِإِيضَاحِ مَعالِمِ الِاخْتِلافِ الجَوْهَرِيِّ الكامِلِ، الَّذِي يَسْتَحِيلُ مَعَهُ اللِّقاءُ عَلَى شَيْءٍ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ. الِاخْتِلافُ فِي جَوْهَرِ الِاعْتِقادِ، وَأَصْلِ التَّصَوُّرِ، وَحَقِيقَةِ المنْهَجِ، وَطَبيعَةِ الطَّرِيقِ. إِنَّ التَّوْحيدَ مَنْهَجٌ، والشِّرْكُ مَنْهَجٌ آخَرُ.. وَلَا يَلْتَقِيَانِ.. التَّوْحيدُ مَنْهَجٌ يَتَّجِهُ بِالإِنْسَانِ -مَعَ الوُجودِ كُلِّهِ- إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَيُحَدِّدُ الجِهَةَ الَّتِي يَتَلَقَّى مِنْهَا الإِنْسانُ عَقيدَتَهُ وَشَرِيعَتَهُ، وَقِيَمَهُ وَمَوازِينَهُ، وَآدابَهُ وَأَخْلاقَهُ، وَتَصَوّرَاتِهِ كُلِّها عَنِ الحَياةِ وَعَنِ

الوُجود. هَذِهِ الجِهَةُ الَّتِي يَتَلَقَّى المؤْمِنُ عَنْهَا هِيَ اللَّهُ، اللَّهُ وَحْدَهُ بِلَا شَرِيكٍ. وَمِن ثَمَّ تَقومُ الحَياةُ كُلُّها عَلَى هَذَا الأَساسِ، غَيْرَ مُتَلَبِّسَةٍ بِالشِّرْكِ فِي أَيَّةِ صورَةٍ مِنْ صُوَرِهِ الظّاهِرَةِ والْخَفيَّةِ.. وَهِيَ تَسيرُ.. ".

"إِنَّ تَصَوُّراتِ الجَاهِلِيَّةِ تَتَلَبَّسُ بِتَصَوُّراتِ الْإِيمَانِ، وَبِخَاصَّةٍ فِي اَلْجَماعاتِ الَّتِي عَرَفَتِ العَقيدَةَ مِنْ قَبلُ ثُمَّ انْحَرَفَتْ عَنْهَا. وَهَذِهِ الجَماعاتُ هِيَ أَعْصَى الجَماعاتِ عَلَى الْإِيمَانِ فِي صورَتِهِ المجَرَّدَةِ مِنَ الغَبَشِ والِالْتِواءِ والِانْحِرافِ. أَعْصَى مِنَ الجَماعاتِ الَّتِي لَا تَعْرِفُ العَقيدَةَ أَصْلًا. ذَلِكَ أَنَّهَا تَظُنُّ بِنَفْسِهَا الهُدَى فِي الوَقْتِ الَّذِي تَتَعَقَّدُ انْحِرافاتُها وَتَتَلَوَّى! واخْتِلاطُ عَقائِدِها وَأَعْمالِها وَخَلْطُ الصّالِحِ بِالْفَاسِدِ فِيهَا، قَدْ يُغْرِي الدّاعيَةَ نَفْسَهُ بِالْأَمَلِ فِي اجْتِذابِها إِذَا أَقَرَّ الجانِبَ الصّالِحَ وَحاوَلَ تَعْديلَ الجانِبِ الفاسِدِ.. وَهَذَا الإِغْراءُ فِي مُنْتَهَى الخُطورَةِ!

إِنَّ الجَاهِلِيَّةَ جاهِليَّةٌ، والْإِسْلامَ إِسْلامٌ. والْفارِقُ بَيْنَهُمَا بَعيدٌ. وَالسَبيلُ هوَ الخُروجُ عَنِ الجَاهِلِيَّةِ بِجُمْلَتِها إِلَى الإِسْلامِ بِجُمْلَتِهِ. هوَ الِانْسِلاخُ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ بِكُلِّ مَا فِيهَا والْهِجْرَةُ إِلَى الإِسْلامِ بِكُلِّ مَا فيه. وَأَوَّلُ خُطْوَةٍ فِي الطَّريقِ هِيَ تَمَيُّزُ الدّاعيَةِ وَشُعورُهُ بِاَلْانْعِزالِ التّامِ عَنِ الجَاهِلِيَّةِ: تَصَوُّرًا وَمَنْهَجًا وَعَمَلًا. الِانْعِزالُ الَّذِي لَا يَسْمَحُ بِالِالْتِقَاءِ فِي مُنْتَصَفِ الطَّريقِ. والِانْفِصالُ الَّذِي يَسْتَحِيلُ مَعَهُ التَّعاوُنُ إِلَّا إِذَا انْتَقَلَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ مِنْ جاهِلِيَّتِهِمْ بِكُلِّيَّتِهِمْ إِلَى الإِسْلامِ.

لَا تَرْقيعَ. وَلَا أَنْصافَ حُلولٍ. وَلَا التِقاءَ فِي مُنْتَصَفِ الطَّريقِ.. مَهْما تَزَيَّتِ الجَاهِلِيَّةُ بِزِيِّ الإِسْلامِ، أَوْ ادَّعَتْ هَذَا العُنْوان! وَتَمَيُّزُ هَذِهِ الصّورَةِ فِي شُعورِ الدّاعيَةِ هوَ حَجَرُ الأَساسِ. شُعورُهُ بِأَنَّهُ شَيْءٌ آخَرُ غَيْرُ هَؤُلَاءِ. لَهُمْ دينُهُمْ وَلَهُ دينُهُ، لَهُمْ طَريقُهُمْ وَلَهُ طَريقُهُ. لَا يَمْلِكُ أَنْ يُسايِرَهُمْ خُطْوَةً واحِدَةً فِي طَريقِهِم. وَوَظيفَتُهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ فِي طَريقِهِ هوَ، بِلَا مُداهَنَةٍ وَلَا نُزولٍ عَنْ قَليلٍ مِنْ دينِهِ أَوْ كَثيرٍ!"[64]

64- تفسير سورة الكافرون، "في ظلال القرآن"، سيد قطب.

عِنْدَمَا نُقَلِّدُ الآخَرِينَ دُونَ تَفْكِيرٍ، وَنَتَبَنَّى أَفْكارَهُمْ وَعاداتِهِمْ، فَإِنَّنَا نَتَنازَلُ عَنْ حُرِّيَّتِنا وَشَخْصيَّتِنا وَاسْتِقْلالِنا.. نَمْشِي كَالْقَطيعِ وَراءَ النَّعْجَةِ الَّتِي تَسوقُنا فِي المُقَدِّمَةِ، حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ نَفْسَها فِي الهَاوِيَةِ أَلْقَيْنَا أَنْفُسَنا وَرَاءَهَا! وَيَدْخُلُ الضَّبُّ جُحْرَهُ الضّيقَ، فَنُحاوِلُ دُخولَ الجُحرِ وَرَاءَهُ، لَا لِهَدَفٍ سِوَى أَنَّنَا نُرِيدُ التَّقْليد.

إِنَّ مِنْ أَخْطارِ التَّقليدِ الأَعمى أَنَّهُ يَسلُبُنا هُوِيَّتَنا المتَمَيِّزَةِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ لَنَا، فَنَحْنُ حَمَلَةُ رِسالَةٍ لِهِدايَةِ البَشَرِيَّةِ، وَلِإِخْراجِها مِنْ عِبادَةِ العِبادِ إِلَى عِبادَةِ رَبِّ العِبادِ.. نَقودُ وَلا نُقاد.. لَنَا عَقيدَتُنا وَمِنْهاجُنا وَشَرِيعَتُنا الكامِلَةُ الَّتي لَيْسَ فِيهَا نُقْصانٌ.. وَالَّتِي تَضْمَنُ سَعَادَتَنا فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ.

إِنَّ السَّمَكَةَ الميِّتَةَ تَجرِي أَبَدًا مَعَ التَّيّارِ، يَأخُذُها حَيثُما شاء، لَكِن مِنَ المؤَكَّدِ أَنَّ السَّمَكَةَ التِي تُعانِدُ التَّيّارَ هِيَ السَّمَكَةُ الحَيَّةُ. فَلنَسْأَلْ أَنْفُسَنا دائِمًا عِنْدَ كُلِّ عَمَلٍ: لِمَاذَا نَقومُ بِهِ؟ لِمَصْلَحَةِ مَنْ؟ إِرْضاءً لِمَنْ؟ خَوْفًا مِمَّنْ؟ وَهَلْ عَادَاتُنا تَزيدُ مِنْ قُيودِنا وَمِن عِبْءِ الحَياةِ الجاثِمِ عَلى كَواهِلِنا أَمْ أَنَّهَا تُحَرِّرُنَا مِنَ التَّبَعِيَّةِ لِلْآخَرِينَ؟ وَلنسأَل أَيْضًا: هَلْ هُنَاكَ حاجَةٌ لَهَا أَصْلًا؟! وَمَا هُوَ حُكْمُ الشَّرْعِ فِي هَذِهِ الْعَادَاتِ؟ بِهَذَا فَقَطْ يُمْكِنُنَا أَنْ نَبْدَأَ التَّغْييرَ المنْشود.